أدباء التنوير والتاريخ الإسلامي

دكتور محمد الجوادي

دار الشروق

أدباء التنوير
والتاريخ الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

دكتور محمّد الجوّادى

أدباء التنوير والتاريخ الإسلامى

الغلاف : الفنان محمد حجى
الخطوط : محمود إبراهيم

إهداء

إلى روح الصديق الكبير

المهندس حافظ أحمد أمين

□□ قدمت بعض مادة هذا الكتاب ونوقشت فى مؤتمر « تاريخ الأمة الإسلامية بين الالتزام والموضوعية » أكتوبر ١٩٨٩ تحت عنوان «منهج أدباء التنوير فى كتابة تاريخ الأمة الإسلامية » .

□□ الطبعة الأولى ، اتحاد الجامعات الإسلامية ، الرباط ، ١٩٩٠

مقدّمة الطبعَة الثانية

حين شرعت فى التفكير فى صياغة فكرتى فى هذا البحث على هذا النحو كنت آمل أن أجد الطريق الى تصوير ذلك الموقف الذى استطاعته نخبة من مفكرينا رفيعة الثقافة وجدوا العالم (يومها) يتغير من حولهم ليبحث فى تراثه وأصوله عن العوامل المتينة التى يستطيع أن يستند إليها وهو يبنى صياغته الجديدة لأنظمة الحكم بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها وهى يومها فى أذهان البشر ليست إلا ذلك الشىء الرهيب الذى اسمه الحرب الكبرى ،فإذا الخريطة العالمية ترسم من جديد، تذوب كيانات لتنشأ كيانات أضعف، ولكن لابد من نشأتها.. وتذوب كيانات أخرى من أجل كيانات أقوى، ولابد من ذلك أيضا.. وتذوب كيانات ثالثة لتخرج من جديد قريبة من الكيانات السابقة ولكنها تحمل مسميات جديدة ! على هذا الحال وجد المثقفون المصريون أنفسهم فى عالم جديد فإذا هم يفكرون بطرق شتى فى مكان وطنهم

ومكـانة بـلادهم من هذا العـالم الجديـد ، وإذا أهل المبادرة من رجـال السيـاسة يسعـون إلى المنـدوب السامـى يستحثون وفـاء بـريطانيـا بتعهـداتها لمصر... ويكون هـذا السعى بدايـة لما أصبح بعد ذلك ثـورة ١٩١٩ بكل وقودهـا ونتاجها... يسعـى أهل الفكر فى خطوات متـلاحقة (حتى وان لم يظهر للرائى من قـريب أنها مترتبة على بعضـها) إلى إثبات الهوية الـوطنية بكل السبل والوسائل.. وتجد مع هـؤلاء بعضـا من أهل السياســة المتنورين وما أكثـرهم يومها يشـاركون خطوات عمـلاقة فى مجالات الآداب والفنـون والعلـوم جميعا، فـإذا الجامعة الأهليـة تثمـر جامعة رسميـة وإذا جمعيات الفنون والآداب تأخذ مكـانها كمؤسسـات ناشئـة، وإذا حركـة التأليف والترجمة والنشر تبلغ منعطفات هـامة فى آفاقها ونشاطها.

وعلى الصعيـد الثالث .. الصعيـد الأعمق والأكثر أنـاة كانت طبيعـة الهوية التاريخية لهذا الشعب تلح بشدة على عقول مفكريه وكتابه وهـم يحاولون أن يقرأوا التاريخ الوطنى ليستلهموا حوادثه وأحداثه وليجدوا فى مطالعتـه مايعينهم على تصـور المستقبل بل والحاضر كذلك . كـانت حركة المجتمع الدولى من حول مصر تستحث هؤلاء على الخروج بالرأى الواضح الـذى يستطيعون أن يعبروا من خـلاله أو بعد استلهـامه عن موقفهم من قضيـة كقضية الخلافة الاسلامية التى استحـالت للأسف إلى واجهة أصبحت مرتبطة بكثير من التداعيات والتراكمات التى لايسهل

الدفــاع عنها أمام ضجيج الطبول الهاتفــة لسياسة كسياســة التحديث (أوالتغريب) التى تبناهــا واحد من أمثال أتاتورك حتى ولــو كانت هذه السياسة جوفاء ! و على هذا النحو كانت الدواعى لاعادة بلورة الرأى فى مجرى التاريخ الإسلامــى كله قوية الى الحد الذى دفعت عــالما كالشيخ على عبد الرازق إلى أن يتصـــدى مبكرا برأى مهما يكن صوابــه فإنه قد لقىّ من القبول والاستنكار على حد سواء ماينبىء عن أن البيئة الفكرية كانت يــومها مهتمة أشــد الاهتمام بالموضــوع الــذى يتناوله هــذا الرأى مهما يكن . على أن المسألة لم تكن مجرد أزمــة يستوعبها حــوار حول رأى.. وإنما كانت بمثابة الشغل الشاغل الــذى لابد وأن يجد ـ ولو بعد حين ـــ من يتفــرغ لــه مستعينــا بــأدوات البحث الجديــدة التى تهيأت للتاريخ والبحث العلمى بعــد إتاحة نتــاج المطبعة بكل مافى هــذا النتاج، وإتــاحة كثير من المخطــوطات ، وتــوفر كثير من الــدراسات على مــدى القرون الطويلة، و ربما كانت المؤلفــات التى تناولتها فى هذا البحث هى الحصيلــة الأولى لتفــاعل الجيل الــرائد من أدباء التنــويــر مع التــاريخ الاسلامى دراسة وكتابة .

وقــد أسعــدنى الحظ أن اتقــدم بنواة هــذا الكتــاب كبحث فى نــدوة «تاريخ الأمة الإسلامية بين الموضوعيــة والتحيز» التى عقدت بالتعاون بين رابطــة الجماعــات الإســلاميــة وكلية آداب الــزقــازيق فى أكتــوبــر ١٩٨٩ ،وحظى هــذا البحث بمنــاقشــات مستفيضة فى قــاعــة النــدوة

وخـارجها ممـا دفعنى الى الاهتمام بنشر هـذا الكتاب على نطـاق كفيل بتوفيره لأصحاب الرأى. ولا أنكر أننى كنت ولا زلت مقدرا أشد التقدير هذا الجهد الذى قام به (الأدباء) فى كتابة تاريخ الأمة الإسـلامية. ولازلت اعتقد أنـه إذا جاز أن يكون هنـاك أكثر من مسـتـوى لكتابة تـاريخ أمة (ومن باب أولى الأمة الإسـلامية) فلابد أن تتميز كتابات تاريخية بالقدرة على أن تكون مقـروءة على أوسـع نطاق . ولابد لمثل هذه الكتـابات من أن تحظى بأقلام قديرة مقتدرة كتلك التى يتناولها هذا البحث. وإنى لأذكر فى هـذا المجال رأيـاً ضمنته دراسـة لى عن «التعليم والثقـافة فى الـوطن العربى» خلاصته أن تكون مثل هذه الكتب على رأس المقررات الإضافية الكفيلة بتنميه الثقافة العامة بين طلبة التعليم العالى.. وأذكر هنا أن هذا الرأى كان على رأس الآراء التى لقيت القبول إن لم يكن الاعجاب ، بحيث إن الذين نـاقشوا فكـرة المقال من أساتـذتى الذين اطلعـوا على أصولها كانوا يلخصون الموقف كله بأن يقولوا إنه لابد من تقرير مثل هذه الكتب الجميلة الوافية «فجر الاسلام ، وضحى الإسـلام .. وعلى هامش السيرة، والفتنة الكبرى» حتى يخرج طـلاب المجتمع الإسلامى بفكرة تـاريخية علميـة منطبعـة فى أذهانهم لا بمجـرد معلـومـات محشوة لا يـربطهـا رابط،وإنى لأذكر كـذلك أنى أشرت بهذه الكتب ضمن مجموعـة أخرى مما قد يسمى بكتب الثقـافة العامة على عدد من الأسـاتذة الأجلاء ذوى المكانة الرفيعة فى تخصصات العلوم الطبية والطبيعية أرادوا رأيى ـ قبل

حـوالى٥ سنوات ـــ فى مجمـوعة من الكتـب تجعلهم على إلمامة واسعـة وعميقة بعناصر الثقافة التى حصلـوها من قبل على مدى قراءاتهم التى امتدت طيلة عمرهم الثقافى، وأن هؤلاء جميعـا وبلا استثناء كانوا أسعد مايكونون بهذه المؤلفات بعد أن طالعوها أو طالعوا بعضها.

ربما كـان كل هـذا الحديث ضروريـا للتـدليل على مـدى تقبلى لهذا المنهج الذى كتبت عنه ، وربما يفسر هذا بعض ذلك التعليق الذى ساقه الأستاذ الدكتور عبـد الحليم عويس وآخرون من المعقبين علىّ فى الندوة حين تساءل الدكتور عويس بعـد تقريظ طويل لبحثى ، هل كل ماكتبوا جدير بالتقدير والاحترام، ألم تجد مطاعن فيما كتبوا؟ ألم تلحظ أنهم لم يلتزمـوا بالمنهج الاسـلامى بقدر ما ألتـزموا بـالتغييرات المادية.. ألخ) والحق أنى أجد من واجبى تجاه القارىء أن ألخص له ردودى على مثل هذه التحفظات كما جاءت على لسانى فى الندوة حيث قلت إن هناك فارقا كبيرا بين مجمـوعتين من الصفـات .. مجموعـة الصفـات التى وصفت بأنها إنجازات (وهى التى تناولتها فى الفصل الثانى ومجموعة الصفات الأخـرى التى وصفتهـا بأنها سمات (وهــى التى تنـاولتهـا فى الفصل الثـالث). ولخصت الموقف كله فى سرعـة (شأن المتحدثين فى النـدوات) بقـولى إن الانجازات هى تلـك الصفات التى تميـز جهـداً على جهد أمـا السمات فهى تلك الصفات التى تميز جهدا من جهد .. ولهذا فإنه يمكن للدكتـور عبد الحليم عويس وأنصـاره بل ولأنصار مـذاهب أخرى أن

يأخـذوا بعض السمات التى عددتها فى الفصل الثـالث على أنها مآخـذ ، حتى وإن أخـذوا البعض الأخر على أنـه مما لا جـدال فى عبقريتـه!! أما الانجازات فإنها لاتحتمل هذا التأويل.. وهذا هو ماكان فى ذهنى حقيقة حين عمدت الى مثل هذا التقسيم (وإن لم أسطره يـومها).. خذ مثلاً تلك الصفة التى جعلتهـا أولى الانجازات وهى تأكيـد الصفة الإلهيـة للبعثة المحمديـة وأن الاسلام ديـن من عند اللـه... بعبارة أخـرى ان الإسلام رسالة وبعثـة وليس مجرد دعوة إصلاحية فهذا فكـر هام بلا شك كما يتضح لنـا جميعا من قـراءة النصـوص المقـابلة فى أى كتـاب من كتب المؤرخين الغربيين.

على اليد الأخـرى فإن ماسميته بـالسمات ولنأخذ مثـلا «الانتصار للعقل» يمكن النظر اليـه على أنه من المميزات كما يمكن لأنصـار مذهب آخر أن ينتقدوه ويخرجوه من دائرة المميزات تماماً .. وفى هذا المجال فإن سمة كـالسمة الأولى فى هذا الفصل وهى «النظر الى التـاريخ الاسلامى كجزء من الدراسات الاسلامية» لايمكن النظر اليها بسهولة على أنها من إنجازات كتابـة أدباء التنوير ذلك أنـه يصعب على غير المقتنعين بأهمية الـدراسات الإسـلامية فى كتـابة التـاريخ الإسلامى أن يـوافقوننـا على ضرورة تسلح كتاب هـذا التاريخ بكل تلك العلـوم والمعلومات والثقـافة الإسلامية .. أو أن يكـون هذا من المقومات الأساسية فى كتـابة مثل هذا التاريخ.

أحب أن أذكر أن كثيرا مـن المعقبين سألونى عن عـدم تناول البحث للكتب التى تتناول الشخصيات مما ألف طه حسين وأحمد أمين وهيكل والعقاد .. الشيخان، وزعماء الإصلاح، وحياة محمد، والعبقريات.. إلخ، وهى النقطة التى ربما لم يمكنهم الوقت من الاطلاع عليها فى البحث حين ذكرت فى المقـدمة (ص١٩ من هذا الكتـاب) أنه لن يكـون من شأن هذه الورقة أن تتعرض لهذه الكتابات لإنها تدخل فى باب التراجم على حين أن البحث مقصور كما ينبىء عنـوانه على الـدور الذى قامـوا به فى كتـابة التاريخ.. ومع هذا يبقى منهج أدباء التنـوير فى كتابة التراجم من الأمور التى تستحق الـدراسة والتأمل ، وبالطبع فـإننى أول الموافقين على أنه من التعسف الواضح أن نعتبر أن التراجم ممـا يخرج عن نطاق التاريخ ولكن كنت ملتزماً حدودى .

ومن الطريف أن أذكر للقارىء كـذلك قصة التعليقات المتكررة التى تفضل بها كثيرون على عبـارتى التى قلـت فيهـا إن من مميـزات هـذه الكتابات التى قـام بها أدباء التنوير أنها أتاحت تاريخ الاسـلام مكتوبا بلغـة الإسلام: حيث عقبت بقـولى «وقد يبـدو ذكـرنا لمثل هـذا الفضل غريبـا على الأذهان.. ولكن الذى لاشـك فيه هو أن هـذه ميزة كبيرة أن تمت كتابات هؤلاء المنُـورين بالعربية.. لو تذكـرنا أن لطه حسين نفسه كتابا عن الأندلس بـالفرنسية ترجمه الأستاذ محمد عبـد الله عنان بعد فترة من كتـابته ، وأن رسالـة الدكتـور محمد حسن هيكل وكـانت عن

«دين مصر العام » كتبت بالفرنسة، وأن رسالة د. عبد القادر القط كانت بالأنجليزية ولم تترجم الى العربيـة إلا مؤخرا. وأن تاريخ التراث العربى لفـؤاد سزكين بقى مـدة طويلـة حتى تـرجم، وأن تاريخ بـروكلمان لم يترجم هو الآخـر إلا بعد فترة.. وأن وصف مصر لم تتم ترجمتـه بأكمله حتى الآن، فما إن لخصت هذه العبارة إلا وتسارعت الأقلام إلى تسجيلها للتعقيب بها علىّ فلما علق بها ثـلاثة يـؤكـدون لى أن زهير الشايب قـد ترجم وصف مصر وكذلك د. أيمن فؤاد وجد كثيرون غيرهم أنفسهم وقد فاتهم قصب سبق مزعوم .. وأذكر أنى عقبت عليهم جميعا بقولى إن ما أقصـــده من هـذا المعنـى لم يكن أن وصف مصر لم يترجم فأنـــا أعلم ماتـرجم منه ومـالم يترجم وأن المسألة فى منتهـى البساطة أنـه لم تتم ترجمته حتى اليوم الثانى والعشرين من أكتوبر ١٩٨٩ رغم مرور أكثر من قرنين على تأليفه.. هذا هو المعنى الـذى أردت التدليل عليه بأكثر من مثـال.. وحتى لو تفضل أحـد الاسـاتذة المعقبين بـالانتهاء من تـرجمة وصف مصر فى تلك الليلة فإن المعنى الذى أردت التنبيـه إليه يبقى قائما فى وضوح .

أحب بعد هـذا أن أنبه إلى أنى لا اتبنى منهج أدبـاء التنويـر فالمنهج نفسه أكبر من أن يتبناه مثلى، وقد وُجـد المنهج من خلال النتاج الفكرى الذى مثلته الكتابات الصادرة عنه، ولكنى مع هذا أعيد تكرار التعبير عن إعجابى بهذا المنهج وسعـادتى به وبتحليله، وأحب أن أذكـر كذلك أننى

لاأفـرض هذا المنهج على المؤرخين ولا أعتقـد لهم أنه هـو المنهج الأمثل ، ولكنى حَفىٌّ بتحليل مقومات النجاح والتميز فى هذا المنهج حتى وإن لم يوافقنى بعض أساتذة من المؤرخين على أنه منهج من الأساس.

هذه أعمال تمت ولاقت رواجاً واستحسانـا وقبولاً وخلوداً أو بعض ذلك كلـه، وأنا اليـوم حريص على أن اتأمل مـا فيها من جمال أو دقـة أورقـة أو تكـامل أو تميـز أو تفـرد.. وحين أحـاول هـذا التأمل فإنى لاأفـرض على هـذا الأعمال منهجا فى نقـدهـا ، وانما انتظـر من الأعمال نفسها أن تضـىء نفسها بنفسها.. وعلى هـذا فان من حـق القارىء أن أدله على الطريقة التى اتبعتها فى كتابة هذا البحث حين أعدت قراءة هذه الكتب وسجلت على هوامشها (أو فى ورق بيدى) ما نبهتنى إليه القراءة، ثم أخذت هذه الملحوظات والانطباعات جميعا فاعدت قراءتها، وتنقيتها ، واخترت أقـربها إلى الاندمـاج تحت عنـوان البحث، ثم رتبتهـامرة بعـد أخرى ثم كتبت ماكتب ، وأعدت تبويبه أكثر من مرات أربع، ثم دفعت به إلى المطبعة ، وتناولته بالتعديل فى البروفات مرة بعد أخرى.. ثم قدمته إلى النـدوة... وبعد ذلك عقبت عليـه تعقيبات كثيرة، واستبـدلت بكثير من العبـارات عبـارات أخـرى، وأضفـت كثيرا من الفقـرات، وتحرزت من التعميم فى كثير من المواضـع، ودفعت به بعد ذلك إلى ثلاثة من الأصدقاء الأعزاء أبـدوا رأيهم فى كثير من النقاط والتعبيرات، وأعـدت طباعتـه من جديد ، وبالطبع فقد أعدت النظـر فى كل صفـحة فى أثناء قراءة البروفات

الجديدة. ومع هذا كله أظل معتقداً أنى فى حاجة ماسة الى عطف القراء الأعزاء علىّ بمناقشتى فيما يرون مناقشته، وفى تصحيح مايرون تصحيحه.

بقى أن أذكر قصة ذلك التعليق السريع الذى أبداه أحد أساتذة التاريخ الكرام حين استنكر علىّ أن أضم جهود طه حسين وأحمد أمين إلى التاريخ، واستند فى استنكاره الشديد إلى أن طه حسين لم ينل الدكتوراه فى التاريخ وإنما فى الأدب وأن أحمد أمين لم تكن له علاقة ألبتة بأقسام التاريخ فى الجامعة.. ولحسن حظى أنى عقبت على هذا الاستطراد بما كنت أعرف من أن طه حسين نال الدكتوراه بعد امتحانه فى الأدب العربى والجغرافيا والتاريخ «واذن فليس حظه من دكتوراه الأدب بأكثر من حظه من دكتوراه التاريخ» هكذا كان نص عبارتى .. بل إن طه حسين فى أول عهده بالجامعة عمل كمدرس للتاريخ القديم قبل أن يتفرغ للأدب العربى!! لم يكن هذا الرد هو الرد المباشر بالطبع وإنما جاء بعد الإشارة السريعة الى أن كتابة التاريخ لم تكن أبدا فى أى مكان أو زمان حكرا على حملة الدكتوراه فى التاريخ.. وحتى إن كانت فليس من شأن هذه الندوة أن تقصر هذا الكتابات على هؤلاء فليس فى وسعها أن تفعل ذلك لأنها تتناول الكتابات التاريخية، حتى من قبل منح درجات الدكتوراه.. وفى النهاية أبديت أسفى وعجبى من أن المعلومات التى ذكرتها عن طه حسين وعن درجة الدكتوراة التى مُنحها مسجلة أيضاً

بالتفصيل فى كتـاب تذكـارى عن الجامعة المصريـة يحمل اسم الاستاذ الدكتور المعقب نفسه ! !

لا أحب أن أبدو وكأنى خارج لتوى من دائرة الانبهار بجهد هؤلاء أو مصمم على البقـاء فى تلك الـدائرة، ولكنى أحب أن أعلن سعـادتى بهذا الاكتشاف الذى سبقنى إليه القراء فى العالم كله على مدى السنوات التى مضت منـذ رأت هـذه الأعمال النـور، فـإذا كـانت دراستى لهذا المنهج تخرج عن مناهج المؤرخين فى نقد مناهج التاريخ وتقترب كما تردد ذلك الصوت الجميل فى القـاعة من أن تكون منهجـا تشريحيا طبياً لـدراسة التـاريخ فليس بوسعى إلا أن أذكـر ذلك فى منتهى السعادة وأن أشكـر مثل هذا التقـدير الكريم، وأن أشكـر أيضا الأستاذ الـدكتور مصطفى النجار رئيس اتحاد المؤرخين الذى كـرر التعبير باسمه واسم الاتحاد عن إعجابه بطريقة تنـاولى للموضـوع على مسمع من أصحاب المناهج التى ربما أكون قد ابتعدت عنها تماما.

بقى أن اعترف فى نهاية هذه المقدمة للقارىء الكريم بأنى قد أجريت كثيراً من التعديلات على متن هذه الدراسة بحيث أصبحت مختلفة كثيراً عن صـورتها التى خـرجت بها فى طبعتهـا الأولى ، وفى الحقيقـة فإننى دفعت بهذا النص إلى المطبعة بعد سبع تجارب مطبعية أعدت الصياغة فى كل مـرة منها فى كثير من المواضـع، وكلما دفعنى الـزمن إلى التباعـد عن

البروفات كنت أحس دوماً أنى مقصر فى أن أترك هذا العمل المتواضع حبيس الأدراج خاصة بعد ما نفدت جميع نسخ الطبعة الأولى .

هذا الكتاب إذن ليس انعكاساً لمزاجي وفكرى فى ١٩٨٩ فحسب ولكنه متأثر تماماً بظروفى النفسية والفكرية فى المرات السبع التى أعيد فيها جمعه فى ١٩٨٩ نفسها وفى مطلع ١٩٩٠ وفى أخريات ١٩٩١ وفى مطلع ١٩٩٢ ونهايتها وفى نهاية ١٩٩٣ ثم فى هذه المرة الأخيرة فى ربيع ١٩٩٤.

١٥مارس ١٩٩٤

محمد الجوادى

مقدّمة الطبعَة الأولى

ليس من هدف هذه الدراسة أن تلخص آراء أبديت بأقلام أصحابها

أتيح لهم أن ينشروا على الناس ماكتبوه فى تاريخ الأمة الإسلامية..

لعل هـذه الورقة لن تبتعـد عن شىء بقدر مـا سوف تبتعـد (أو ما

تحاول أن تبتعد) عن هذا التسجيل. وليس من هدف هذه الدراسة

تعلى من قدر كتـابة تاريخية على مـاسواها من كتـابات، إذ ليس من

هـذه الندوة على مـا أظن أن تمنح التقديـر لما كتب من قبل ، حتى

امتحنت هذا الذى كتب منهجياً وموضوعية وأصالة وصدقاً بكل ما

فيها و حـولها من نقاش و تعليقـات . و ليس من هـدف هـذه

بعد ذلك أن تدل على المنهج الأمثل لكتابة تاريخ الآمة الإسلامية

إن كـانت بالضرورة سـوف تلقى ببعض الضوء على بعض معـالم فى

الطرق الكفيلـة بالوصـول إلى بعض ما نبتغيه لتـاريخ أمتنا حين

إنما تحاول هذه الدراسة أن تتأمل مع المنتديين هذا الجهد الذى شهده الربع الثانى من القرن العشرين فى مصر حين تصدت مجموعة من ثلاثة من أساتذة كلية الآداب فى الجامعة المصرية الأولى لكتابة تاريخ الآمة الإسلامية .

تحاول هذه الدراسة أن تستعرض هذه التجربة الرائدة التى أثمرت جهداً ممتازاً أصبح بمثابة المصدر المفضل لأهل التاريخ ولأهل تاريخ الأدب العربى، و كثير من الدراسات الإنسانية فى الحضارة العربية .. وهو بعد ذلك ، و قبله المرجع العلمى الممتع ... و العمل الأدبى الممتاز .

سوف تتناول هذه الدراسة فى الأساس أعمال أحمد أمين .

- **فجر الإسلام**: جزء واحد
- **ضحى الإسلام** : ثلاثة أجزاء
- **ظهر الإسلام** : أربعة أجزاء
- **يوم الإسلام** : جزء واحد

و هى الحصيلة التى جاءت نتيجة اتفاق طه حسين وأحمد أمين وعبد الحميد العبادى على الاشتراك فى عمل كبير لكتابة تاريخ الأمة الإسلامية على أن يتولى الأستاذ العبادى كتابة الحياة السياسية ، وأن يتولى الأستاذ أحمد أمين الحياة العقلية .. و أن يتولى طه حسين الحياة الأدبية.

بيد أنه كما سنرى بالتفصيل كان الأستاذ أحمد أمين وحده هو الذى استطاع أن يقوم بدوره فى هـذا المجال ، ومع هذا فلن يسعنا إلا أن نضـم إلى جهـد أحمد أمين فى هـــذا المجـال مـا كتبـــه طـه حسـين فيما سمى بالإسلاميات:

- مرأة الإسلام
- على هامش السيرة : ٣ أجزاء
- الوعد الحق
- الفتنة الكبرى :
  ١ ـ عثمان
  ٢ ـ على وبنوه

ومع أن أعمال طه حسـين هذه لا تتكـامل مع بعضـها كأعمال أحمد أمين إلا أنها تمثل حديثاً عن مناطق تاريخية هامة تكتنف ما يسميه أهل التاريخ بالحدث الكبير الذى تتيح دراسته وتحليله ودراسة ما قبله وما بعده من أحداث .. و هذا هو عين ما فعل طه حسـين مثلاً فى كتابة الفتنة الكبرى بجزئيه .

بقى أن أوضـح أيضاً أنه لن يكون من شأن هذه الدراسة أن تتناول دور أدباء التنوير فى كتابة التراجم الإسلامية سواء دور الدكتور هيكل فى حياة محمد .. أو العقاد فى العبقريات و فاطمة الزهراء .. أو طه حسـين

نفســه فى « الشيخان» .. أو أحمد أمين نفســه فى زعماء الإصلاح . فهـذا موضوع بحث أخر . و سوف يكـون من شأن هــذه الدراســة أن تقوم بتلخيص المقومـات التى ربما ساعـدت من قريب أو من بعيـد على دفع أدباء التنوير إلى النجاح فى ارتياد هذه المنطقة ، وأن تروى قبل ذلك قصة جهـدهـم فى هــذا المجـال .. ثـم تبحث فى المزايـا التى أتيحت للتــاريخ الإسلامــى عندما كُتــب بأقلام هــؤلاء الأدباء و فى الآثــار الأخرى لهذه التجربة .. ثم تستعرض قيمة الـدور الذى أتمه هؤلاء فى ضوء المصاعب التى اعترضتهم و الجهود التى تلتهم ..

١٤أكتوبر١٩٨٩

محمد الجوادى

الفصل الأول

قصّة المشروع

يتحدث أحمد أمين عن قصة الاتفاق على كتابة التاريخ الإسلامى فى صفحة ٢٢٤ من حياتى (الطبعة السادسة) فيقول : « كان ذلك تمهيداً لمشروع واسع فى البحث وضعناه نحن الثلاثة : الدكتور طه حسين والأستاذ عبد الحميد العبادى و أنا خلاصته أن ندرس الحياة الإسلامية من نواحيها الثلاث فى العصور المتعاقبة من أول ظهور الإسلام ، فيختص الدكتور طه بالحياة الأدبية ، و الأستاذ العبادى بالحياة التاريخية ، وأختص أنا بالحياة العقلية ، فأخذت أحضر الجزء الأول الذى سمى فيما بعد (فجر الإسلام) و صرفت فيه ما يقرب من سنتين..» ويمضى أحمد أمين إلى أن يقول فى صفحة ٢٢٥ : « و قد تم هذا الجزء الأول من فجر الإسلام فى أخر سنة ١٩٢٨ ، و لقد لقيت من حسن استقبال الناس لهذا الجزء و تقديرهم له و اهتمامهم به نقداً

وتقريظـاً ما شجعنى على المضى فى هـذه السلسلة . و قـد عاقت زميلىّ عوائق عن إخراج نصيبهما فاستمـررت أنا فى إخراج ضـحى الإسلام فى ثلاثة أجزاء » .

هذا هو ما كتبه أحمد أمين بعد أن قطـع شوطاً كبيراً فى عمله ، أما طه حسين فقد كـان طموحـاً إلى أن يقوم بجهـده فى هذا المجـال إلى حد أنـه يتصور نفسه و قد أتم العمل فعلاً و ها هو يكتب فى نهاية تقديمه لفجر الإسلام (الذى صدر ١٩٢٨) فيقول : « وثلاثتنا متضامنون فى الكتاب على اختلاف أقسامه ، فقد استقل أحمد أمين بدرس الحياة العقلية ولكنه قـرأه معنا و أقـررنـاه كما أقره ، فنحن شريكـاه فيـه على هذا النحـو ، واستقل عبد الحميد العبادى بدرس الحيـاة السياسية و لكنه قرأه علينا وأقررناه كما أقره ، فنحن شريكاه فيه على هذا النحو ، و استقللت بدرس الحياة الأدبية و لكننا قرأناه جميعاً و أقررناه ، فنحن جميعاً شركاء فيه على هذا النحـو، و كل ما نتمنـاه أن نوفق إلى أن نـدرس ضحى الإسلام بعد أن درسنا فجر الإسلام » .

و فيما يبـدو فإن حكماً على هذه العبـارات المؤكـدة و نحن نقرؤهـا اليوم لا يخرج عن تقديرنا لها من أنها كانت شبيهة بالأمانى حتى و إن كانت تتحدث كما ترى بضمير الانجاز .

بل إننا نجـد الدكتـور طه حسـين حين يكتب مقـدمة فجـر الإسلام (١٩٢٨) يتحدث عن جهود أحمد أمين فى فجر الإسلام بضمير الجماعة

منذ بداية المقدمــة حتى يأتى فى صفحة (ط) إلى قوله:« و إنما أردنا أن نرضى ضمائرنا أولاً فأخذنا أنفسنا أو بعبارة أصح أخذ زميلنا الأستاذ أحمد أمين نفسه بأن يحلل هذه الحياة العقلية العربية تحليلاً ليس أقل دقة و استقصاء من تحليل صاحب الكيمياء فى معمله ..» و هذه العبارة التى لم ترد إلا فى صفحة (ط) هــى أولى إشارات طه حسين إلى نهوض أحمد أمين وحده بــالعمل بعد حــديث طه حسين الطويــل عن العمل كله بضمير الجماعة ..

ثم يستطرد طــه حسين قائلا إن الحيــاة السياسيــة (هى التى كان مقرراً أن يدرسها الأستاذ عبــد الحميد العبادى) ليست أقل تعقيداً من الحيــاة العقليــة « التى درسهـــا أحمد أمين » ويــوضح طــه حسين سر تعقدهــا .. ثم يعقب بقولــه: «و يرى الذين يقــرأون كتاب الأستــاذ عبد الحميد العبــادى أن بلاءه فى هــذا البحث خليق بما لبلاء صــاحبه أحمد أمين من حمد وثناء.. ويتطرق طه حسين بعد ذلك إلى الحياة الأدبية التى كان من المقرر أن يتــولاها هو بالدرس ثم يقــول « و أنا أرجو أن أنهض بعبء هذا البحث كما نهض صاحباى بعبء البحثين اللذين عالجاهما ».

الفصل الثاني

الإنجازات التي تحققت من خلال كتابة أدباء التنوير للتاريخ الإسلامي

(١) تأكيد الصفة الإلهية للبعثة المحمدية ، و أن الإسلام دين من عند الله : غالباً ما تطالعنا في معظم كتابات المستشرقين و مَنْ نهج على منوالهم رغبة ملحة في البحث عن عوامل اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية وراء دعوة النبي محمد عليه السلام إلى الإسلام ، وابتعاداً تامًا عن اثبات معنى بعثة النبي من عند الله .. ولا شك أن المؤرخ المتوسط (ولا نقول المتميز) يستطيع أن يأخذ بعض الأحداث والظواهر فيما قبل بعثة النبي ليجعل منها دليلا واضحاً أو إرهاصاً قوياً على بدء الدعوة المحمدية كمجرد « دعوة » حتى وإن بالغ بعد ذلك في تقديره لقيمة وعظمة هذه الدعوة .. وهذا هو المفهوم الذي عايشته بنفسي مثلاً

فى فكر أعظم الشباب الأوروبى ثقافة (كزملائى من الأطباء الأجانب) كنتيجة حتمية لثقافتهم المستقاة من المصادر المتاحة أمامهم .. ولو أننا فى غيبة جهد هؤلاء الرواد كنا استسهلنا أن ندرس التاريخ الإسلامى من أعظم كتب الجامعات العالمية كأن نقرر نفس كتاب تاريخ العصور الإسلامية المحبذ أو المقرر فى هارفارد أو كمبردج ونترجمه على نحو ما حدث ويحدث (ويظن بعضنا أنه النموذج لما ينبغى أن يحدث) فى كثير من الأحوال فى تدريسنا للعلوم الإنسانية والطبيعية فى المرحلة الجامعية، لو كنا فعلنا هذا لوقعنا فى المحظور الذى أنقذنا منه بلا شك انتباه بعضنا للقيام بما يمكن أن نصفه بأنه جهد من ذلك النوع الذى يطلق عليه فى الفقه الإسلامى مسمى «فرض الكفاية» ، على أن الأعظم من هذا أن هؤلاء قاموا بهذا الجهد منذ مرحلة مبكرة من تاريخ الجامعة الوطنية المبكرة فى بلد مسلم .

وسأضرب مثلاً على المعنى الذى أريد التعبير عنه بهذه العبارة التى تبدو وكأنها ممتازة والتى يجدها القارىء فى مطلع كتاب المؤرخ الهندى اللامع خودا بختش عن الحضارة الإسلامية حيث يقول : « إن محمداً أخذ الشعلة من أيدى معاصريه ، إذ لم يكن هناك غير محمد الذى كانت تحيط به العناية الالهية ، ويشعر بالغيرة الدينية ، مَنْ غيره يستطيع أن يؤدى الرسالة ويقوم بالواجبات ويقدم من أجلها تضحيات شخصية عاجلة ، كانت روحه العالية لا تقبل تعدد الآلهة فى بلاد العرب ،

وانصراف العرب إلى حياة الترف والشهوات وأصبح يفكر دائماً فى تحطيم هذا النظام القائم .. كانت مسألة حياة أو موت .. ولكن محمداً ألقى بنفسه فى المعمعة بكل قوة لديه . ليخلق مجتمعاً نقياً عظيماً ، قوياً سليماً » .كلام جميل كما نرى ولكنه يخالف تماماً جوهراً من الجواهر الأولى فى إسلامنا وإيماننا وفى تاريخنا الإسلامى الحقيقى .

(٢) وضع الظواهر التاريخية الدالة على التعطش إلى دين فيما قبل الإسلام فى وضعها الصحيح : تأسيساً على الفكرة السابقة ، ومن ناحية أخرى فإن قراء التاريخ الإسلامى الذى كتبه المستشرقون كثيرا ما يجدون تعسفاً واضحاً فى كثير من « التكوينات التاريخية » التى تفسر ظهور الإسلام ، على يد النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الوقت بالذات وفى هذا المكان بالذات .. مع ما لا يغيب عن أذهاننا ووجداننا ومعتقداتنا من أن الإرادة الإلهية هى صاحبة هذا الاختيار .. وهكذا نجد كثيراً من المؤرخين يفضلون التفسيرات الأكثر جاذبية لبعض حوادث أو روايات متناثرة .. وعلى سبيل المثال ما نجده من كثرة النقل والتأويل لما أوردته سيرة ابن هشام (الجزء الأول ص ٣٧) من قصة اجتماع أربعة من مثقفى العرب (أو مفكريهم بلغة هذه الآيام) ، وهم ورقة بن نوفل ، وعبد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عمرو وقد تعاهدوا على أن يصون بعضهم سر بعض ، وأن يلتمسوا لقومهم دينا .. فإنكم والله ما أنتم على شىء !! ثم ذهبوا يسيحون فى

أرض الجزيـرة يبحثـــون عن مثل هـذا الـــدين .. وأخشى أن تتمادى المؤلفات فى المستقبل فى مثل هذه الرواية فتصور الأمر على أنه لم يكن إلا على نحـو مـــا يفعل رواد تسجيل الفنـون الشعبيـــة أو رواد تسجيل الآثار!!

(٣) إيضاح تــاريخ الديانـات السماوية عنـد العرب فيما قبل الإسلام : لا يـزال قراء التــاريخ الإسلامى إلى اليـوم يجدون كثيراً من الكتابات التاريخية وهى تتناول علاقـة العرب بالديانات السماوية من منطق ســاذج أو بمنطق التسطيح (وعلى سبيل المثــال فيما يفسر عـدم انتشــار الديـانتين السماويتين اليهوديـة والمسيحيـة فى شبه الجزيـرة العربية) مـن دون أن تنتبه مثل هذه الكتابات إلى حقــائق واضحة كتلك التى تتعلق بـرغبة اليهـود فى الاستئثار بـدينهم . أو انشغال الجماعـة المسيحيـة ببلاد الامبراطـوريات والحضــارات عن الانتشار إلى مـواقع متفـرقة غير مأهـولة بـالسكان مثل بـلاد العرب .. ومع هـذا فقد كـان للديـانتين وجود واضح فى مـواضع معينة من جـزيرة العـرب لأسباب معينة كما فصل الأستــاذ أحمد أمين فى فصول كتــابه فجـر الإسـلام .. قارن هذا الذى يستطيع الناس قراءته لأحمد أمين منذ نصف قرن برأى كرأى أستاذ للتاريخ الإسلامى فى جامعـة عربية كبيرة يرى (فى كتابه المقرر) فى سرعة وفى بساطـة أن المسيحية لم تنتشر لأن عقيدتها صعبة

على العرب !!! وأن اليهودية لم تنتشر هى الأخرى لأن القانون التلمودى معقد عجز العرب عن فهمه !! .. وهكذا حل هذا الاستاذ الجليل المشكلتين بزعم واحد قد لا يكون له أدنى مقوم من الحقيقة ! .

(٤) دراسة أثر الإسلام فى أدب الأمة الإسلامية : ربما كانت هذه العلاقة من العلاقات التى تقلل من شأنها كتابات المستشرقين عن الأدب العربى (بالتناسى أو التجاهل) وكأن الأدب العربى فى كل ماحلق إليه من آفاق المعانى والتجديد بعد الإسلام قد استمد نجاحه من الجاهلية !! حين لم يكن فى وسع أعظم الشعراء فى هذه الجاهلية أن يشبه الجواد الماهر إلا بالصخر أسقطه السيل.. وربما كان هناك أو لا يزال هناك من يرى أن الدين أرفع من أن يؤثر فى الأعمال الأدبية .. أو هكذا يجب أن تكون نظرتنا إليه ... ولكن هذا لا يمنع على الإطلاق من أن يقر كل من تأهله نفسه للحقيقة من دارسى الأدب العربى أن الأدب العربى قد استحال شيئا آخر بعد الإسلام .

وسنستعير للقارىء عبارات طه حسين فى تقديم الطبعة الأولى من فجر الإسلام حين يعدد مزايا عمل أحمد أمين فيقول إنه « وصل بين الثقافة الدينية والفسفية وصلاً متيناً لن يتعرض منذ الآن لضعف أو وهن فقد كان الناس يعلمون أن للدين والفلسفة أثراً فى الشعر ولكنهم لم يكونوا يزيدون على هذه القضية العامة ، أما الآن فقد استطاع أحمد

أمين أن يضع أيدينا على هذه الآثار القوية الخالدة التى يتركها الدين والفلسفة والأدب ، وأصبح كتابه وسيلة قيمة إلى أن تتصل الحياة الدينية الإسلامية فى وضوح وجلاء إلى نفوس الشبان الذين يدرسون الأدب العربى فى الجامعة أو غيرها » ونحن نرى كثيراً من تطبيق أحمد أمين لهذا الفهم فى كتاباته فى كل فكرة تقريباً وانظر مثلاً ص ٢٧٥ من فجر الإسلام حين يتحدث حديثاً طويلاً عن أثر الاضطهادات فى الشيعة إلى أن يصل إلى قوله : « وهذه السرية استلزمت الخداع والالتجاء إلى الرموز والتأويل ونحو ذلك .. وكان من أثر هذا الاضطهاد أيضا اصطباغ أدبهم بالحزن والنواح والبكاء وذكرى المصائب والالام » .

(٥) الوعى بوجود ما يسمى بالشخصية الإسلامية : كان طه حسين على عكس ما قد يتصور الناس أو ما قد يصور لهم اليوم منتبها تمام الانتباه إلى وجود ما يسمى بالشخصية الإسلامية ، وتميزها ، وهاهو فى مقدمة ضحى الإسلام يقول فى منتهى الوضوح إن هناك :« ما محا الشخصيات الفردية والاجتماعية لكثير من الأفراد والأمم وصهرها فى مرجل واحد هو الدولة الإسلامية فكوّن منها شخصية جديدة كل الجدة ، طريقة كل الطرافة هى شخصية الأمة الإسلامية » تأمل هذا الذى خرج به طه حسين من قراءة كتاب أحمد أمين وسجله فى تقديمه للكتاب ، وقارن بينه وبين بعض أفراد الجيل الثالث من تلاميذه الذين يريدون اليوم ـ دون درس ـ أن يقولوا بانتفاء وجود ما يسمى بالشخصية الإسلامية !!

(٦) إتاحة تاريخ الإسلام مكتوباً بلغة الإسلام : وقد يبدو ذكرنا لمثل هذا على أنه فضل غريباً على الأذهان .. ولكن الذى لا شك فيه هو أن هذه ميزة كبيرة أن تمت كتابات هؤلاء الأدباء المنورين بالعربية .. ولنتذكر أن لطه حسين نفسه كتاباً عن الاندلس بالفرنساوية ترجمه الأستاذ محمد عبد الله عنان بعد فترة من كتابته . وأن رسالة الدكتور محمد حسين هيكل للدكتوراه وكانت عن دين مصر العام كتبت بالفرنسية ، وأن رسالة د. عبد القادر القط للدكتوراه كانت بالانجليزية ولم تترجم إلى العربية إلا مؤخراً . وأن تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين بقى مدة طويلة حتى ترجم ، وأن تاريخ بروكلمان لم يترجم هو الآخر إلا بعد فترة .. وأن وصف مصر لم تتم ترجمته بأكمله حتى الآن !!

(٧) الدين فوق الدولة وفوق الحضارة وفوق القومية : وهذا معنى واضح كل الوضوح منذ مطالعتك كتب أحمد أمين فهو لا يقول فجر الدولة الإسلامية ولا ظهر الدولة الإسلامية وإنما هو ينسب كل هذا إلى الإسلام مباشرة . و أحمد أمين لا يتعسف فى تفسير (أو تحديد) العلاقة بين الإسلام والعربية مثلا وإنما يضع هذه العلاقة وضعها الصحيح، ولا يفرضها على الحوادث التاريخية ، وأحمد أمين فى كل هذا يصدر عن الفهم العميق للتاريخ ، ولا يريد أن يفرض فهما وقتيا عليه وعلى حوادثه، ولهذا تبقى لهذه الكتابات التنويرية قيمتها حتى بعد انتهاء عصور التنوير التى كتبت فيها .

(٨) النجاة من التعصب لـلاسلوب الاستشراقى : نجا الأستاذ أحمد أمين من تعصب المستشرقين فى زمـن الانبهـار بهم لأنـــه كـــان صاحب منهج أصيل ناقد يستطيع أن يعرض عليه ويستعرض فى هديه كل ما من شأنــه أن تكون له عـلاقة بـالدين الحق أو بالـزعم الباطل .. وهكذا جـاءت كتابـة أحمد أمين خالية من كـل ما يثير المسلم الحق من الفهم غير الحق للـدين الحنيف . وأحب أن أعبر للقارىء عن هـذا المعنى بعبارات جميلـة للأستاذ عبد الحليم النجـار كتبها وهو يقدم تـرجمته لكتاب جـولد زيهر فيقـول فى وصفها : « ويشتمل الكتـاب على قليل من النـزعات الـدينيـة ، وهى نزعـات لا يكـاد يخلـو منها كتـاب من كتب المستشرقين لا سيما فيما يتصل من الدين بسبب أو نسب يمليها عليهم ألف لازم أو هوى متبع أو قصد جائر » .

(٩) النجـــاة مـن التعصب الخفىّ للمتمـــذهبين والقـــوميين والشعوبيين .. إلخ : فأحمد أمين (وكذلك طه حسـين) لا ينتصر للسنة على الشيعــة ، ولا للشيعة على السنــة (حتى وإن جاهــر السفير حسـين أمين فيما بعد باعتقاده فى أن والده ظلم الشيعة) ولا لأهل قطر عن قطر ، ولا لحضـــارة سابقــة على الإسلام على حضـــارة أخرى فى تأثيرهــا على الإسلام ولا يلقى بـلائمة حرب أو نزاع على جماعــة دون جماعة ونحن نفهم أن المؤرخ لا ينبغى أن يكون إلا هكـذا.. ولكننا لا نستطيع أن نجد هذا المؤرخ فى كل ما هــو متاح أمامنا من كتب التـاريخ . و سأضع أمام

حضرتكم فقرة تمثل البديل الآخر الذى لا يحظى أبداً بميزة كتابات أحمد أمين وهى أولى فقرات كتاب تاريخى ضخم هو « العرب والعروبة من القرن الثالث حتى القرن الرابع عشر الهجرى » وقد نشرته دار اليقظة العربية بسوريا سنة ١٩٥٩ للأستاذ محمد عزة دروزة : يقول المؤلف :

« أدى انهيار الدولة الأموية الشامية فى أول الثلث الأول من القرن الهجرى التالى نتيجة لتحالف الهاشميين ضدها مع الفرس إلى انتقال عاصمة الدولة العربية الإسلامية التى حل العباسيون فيها محل الأمويين من دمشق إلى الهاشمية فبغداد فى العراق الذى كان أقرب إلى البيئة الفرسية من الشام ، وانفسح بهذا أو ذاك المجال لرجال الفرس فأخذوا يتغلغلون فى بنيان الدولة العباسية ويدمرون العرب شيئا فشيئا.. وأخذت تبدو منهم مطامع متنوعة تهدد كيان الدولة والعروبة تهديداً قوياً .. » .فهذا كما نرى نموذج للتاريخ الذى يمكن أن يقدم للشباب وللطالب المسلم وللمثقف المسلم فى مجلدات كبار تدرس فى الجامعات الكبرى أو تتاح حتى فى المكتبات الصغرى .

وأحب أن أوضح للقارىء أنى لا أقصد بالتعصب ذاك الذى قد نجده مدسوسا كالسم فى العسل فحسب .. ولكننى أقصد كافة أنواع التعصب حتى ذلك التعصب للعقل فى فهم العبارات العامة أو الغامضة أو غير المحددة وما ينشأ عنه من تعسف فى فهمها وفهم أركانها وشروطها ، أوحتى التعصب للجنس البشرى فى فهم الكون وما قد ينشأ عن ذلك من

تفسير شبه مادى للتاريخ ، أو التعصب للحاضر فى فهم الماضى وما ينشأ عن ذلك من نظرة جوفاء متعالية إلى جهود جبارة قد نعجز عنها اليوم وهكذا .. كأنى أريد أن أقول إن الأدباء قرأوا التأريخ على نحو ما أضاء التاريخ نفسه من داخله .

(١٠) دراسة صلة الثقافة الاسلامية بالثقافات الشرقية : يمكننا القول باطمئنان أن أحمد أمين كان أول وأبرز من وضع أيدينا على مدى تأثر الثقافة العربية الإسلامية بالثقافات الشرقية .. ولولا جهود أحمد أمين لظللنا ننقل عن كثير من السابقين على أحمد أمين واللاحقين له اهتمامهم بعصر الترجمة الذهبى فى عهد الخليفة المأمون (فقط) حيث نقلنا عن اللاتينية وكأننا كأمة إسلامية فى تفاعلنا الحى مع الحضارات لم تتفاعل إلا مع اللاتين .. ولا نزال إلى اليوم نرى معتقدات وثقافة كثيريين منا وكأن النموذج الأمثل (وأحيانا الوحيد) للتأثير بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى قد أخذ على أنه علاقة العرب بالثقافة اللاتينية بدءاً من عصر المأمون ثم البعثات والحملة الفرنسية وحتى معهد العالم العربى فى باريس .. أما الدراسات التى تستقصى علاقة الحضارة بين العربية والفارسية فإنها لا تبرز إلا قليلا ، وبخاصة عند الحديث عما قد يسمى بالتأثيرات المعادية أو التأثيرات السلبية كالشعوبية . على أن الأهم من هذا أن أحمد أمين كان أكثر المؤرخين توفيقا فى دراسة وتحقيق الصلة بين العرب والهند ، وتكاد هذه العلاقات

لا تحظى بأى اهتمام حتى الآن . وخـلاصة القول إن أدبـاء التنويــر قد انتبهوا تمامــاً إلى علاقــة الشرق بالشرق كما انتبهـوا إلى علاقــة الشرق بالغرب .

(١١) الموازنــة بين منهجى التــاريخ : دراسة تعــاقب الأحــداث ودراسة الحدث : على الرغم مما قد نجد من اختلاف الباحثين فى فلسفة كتابة التاريخ فى تقديرهم وتحبيذهم لمنهجين من مناهج كتابة التاريخ ، الأول يعنى بتوالى الأحداث وتعاقبها على نحو ما نرى فى كتابة الحوليات والأسرات والمماليك والعصور .. الخ والثانى يُعنى بتعميق دراسة حدث واحد يمثل ذروة الصراع التاريخى فيما قبله وبعـده ، مع هذا فإننا نجد المؤرخين يعودون فى النهـاية ليقـرروا (صراحة أو ضمنيـا) أن التاريخ الحق لا يمكن أن يكتب بأحد الأسلوبين دون الآخر ، وأنه لابد من امتزاج الأسلوبين للخروج فى النهاية بشـىء ذى قيمــة ، وهذا هو عينه الأسلوب الذى اتبعـه أحمد أمين فى كتابة سلسلته الـرائعة حين مزج بـاقتدار بين المنهجين . بل إن هـذا المنهج هو الـذى سيطر على طـه حسين فى كتابـه الفتنة الكبرى بجزئيه عثمان وعلى وبنوه . على الرغم مما قد يبدو للوهلة الأولى من أنــه انتصر لمنهج الحدث التــاريخى .. أو ممــا قــد يبـدو حين ينتهى القارىءفى سرعــة بالغة يدفعــه التشويق إليها من قـراءة الكتاب فيظن أنه قرأ قصة الأحداث متعاقبة .

لا شك أن الأديبين الكبيرين قـد نجحـا تمامـا فى هـذه الموازنـة بين منهجى كتابة التاريخ إلى أبعد الحدود فقد جمع أحمد أمين الموقفين كما جمعهما طه حسين .

(١٢) تقديـر حقيقة وطبيعـة الدور البـارز لأعلام المسلمين فى مجرى التاريخ الإسلامى :ـ ربما يمكن القول بـأن تميز أحمد أمين ككاتب تـراجم كان وراء هذه القدرة ، ولكن مـا يعنينا هنا أن نشير على سبيل المثل إلى لمحـات أحمد أمين الذكيـة فيما يتعلق بعلمين من أعـلام الإسلام :

١ـ **رابعة العدوية :** كـان أحمد أمين يرى فى رابعـة العدويـة آراء تخالف آراء كل السابقين سواء فى مجمل رأيه فيها أو فى تفاصيل حياتها ، فهو يقول مثلا :« وقد روى أنها قابلت الحسن البصرى وسمعت منه ، والذى يقارن بينهما يرى أن الحسن كان مغمورا بنزعـة الخوف ، وأما هى فكانت مغمورة بنـزعة الحب ، ولا شك أن نزعة الحب أرقى بكثير من نزعة الخوف » و يقول أحمد أمين فى مـوضـع تال :« قـديجوز أن يكـون من أتى بعـدها قـد تأثـر بمعـانى الحب التى قيلت فى الثقافـات المختلفة أمـا هى فما نظن أنها تأثرت بذلك ، وإنما هو موجدة وجدتها فى نفسـها تغنت لها الغناء بهيجاً كالموجدة التى كانت عند الخنساء فغنت لها طويلا غناء حزينا » .

٢ ـ **الغزالى** : يقدر أحمد أمين الإمـام الغزالى بصفة خـاصة إلى الحد الذى يجعله يقـول فى شأنه : « وكان لكتبه وتعـاليمه أثر كبير فى حياة المسلمين بدليل تاريـخ المسلمين قبله وبعده » ويعدد أحمد أمين فى ذكاء شديد مجموعـة من الظواهر التى يدلل بها على هذا الرأى فيذكر :

(أ) أن الفقهـاء كانـوا يعتمدون على ظـواهـر الشعائر من وضـوء وصلاة وعـدد ركعات فجاء هـو فبث فيها الـروح وجعلها كما كانت فى الحال الأول فى صدر الإسلام أهـم أركانها ، فالصلاة ليست مجرد حركات إنما هى ذلك مع خشوع القلب.

(ب) كان المتصـوفة قـد ارتكنوا إلى الحب الالهى فسكنـوا واطمأنوا ولم يلتزم بعضهـم بالواجـبات الـدينية التـزاما دقيقـاً ، فجاء الغـزالى وأعاد إلى النفـوس الخوف من الله على طريقة الحسن البصرى .

(حـ) حبب التصوف إلى الناس وأقر الاعتقاد بالمكاشفة وأنها تصل بالمعرفة إلى ما لم يصل إليه العقل .

(جـ) وافق الصوفية على القول بكرامة الأولياء .

(د) فلسف الدين فـإذا قرأت أى باب من الأبـواب رأيته يعـرضها عرضا غير عرضهم فعرضهم جاف كالقوانين ، وعرضه لطيف كالقطعة الأدبية .. إلخ .

ويعـود أحمد أمين فى ص ١٦٩ فيكرر ذات المعنـى بعبارة أخـرى إذ يقـول : «وعلى الجملة فيظهـر لى أن الإسـلام فى العصور المتأخـرة عن الغزالى كان متأثراً بتعاليم الغزالى وكتبه »

هـذان كما تـرى نمـوذجـان لقـدرة أحمد أمين على إضفـاء الفضل الحقيقى لأصحابه من أعلام الإسلام . أما طه حسين فـلا شك أنه كان هو الآخـر يعيد رسم الشخصيـة من شخصيات التـاريخ بحيث يظهر دورها بصمة واضحة فى تاريخ الفكر والحياة .

(١٣) النجاة من التعصب للفهم الشخصى : أنت ترى طه حسين على ما عـرف عنه من ميل شـديد إلى ترجيح رؤاه الـذاتية معتـدلاً أشد الاعتدال فى كل ما يصدر من أحكام حين كتب الإسلاميات التى نتناولها فى هذا الكتاب، ولعله كان أقرب ما يكون إلى الصدق حين عبر بنفسه عن نفسه فى مقدمة «الفتنة الكبرى» حيث يقول : « وأنا أريد أن أنظر إلى هذه القضية نظرة خالصة مجردة ، لا تصـدر عن عاطفة ولا هوى ولا تتأثر بالإيمان ولا بـالدين ، وإنما هى نظرة المؤرخ الذى يجرد نفسـه تجريدا كـامـلا من النـزعـات والعـواطف والأهـواء مهما تختلف مظـاهـرهـا ومصادرهـا وغايـاتها » . ثم يُردف طـه حسين فيروى أن سعد بن أبى وقاص رحمه الله كـان على رأس الذين اعتزلوا الفتنـة ولم يشارك فيها وقال :« لا أقاتل حتى تأتونى بسيف يعقل ويبصر وينطق : أصاب هذا

وأخطأ ذاك » ويتبع طه حسين هـذا بقوله : « فأنا أريـد أن أذهب مذهب سعد وأصحـابه رحمهم الله ، لا أجـادل عن أولئك ولا عن هؤلاء ، وإنما أحاول أن أتبين لنفسى وأبين للناس الظـروف التى دفعت أولئك وهؤلاء إلى الفتنة ومـا استتبعت من الخصومـة العنيفة التى فـرقتهم وما زالت تفرقهم وستظل فى أكبر الظن إلى أخر الدهر » .

(١٤) إتاحـة التاريخ الإسلامى مقـروءاً بطريقة أدبية مشـوقة للقارىء العربى : ذلك أن كتابة التاريخ هى التى تجعله يميل إلى ناحية من نـاحيتين أن يكون أدبـاً مقروءاً أو سهل القـراءة ، أو كتابـاً دراسياً مهجوراً أو مؤهـلاً للهجران .هذا المعنى قد يكون غائبـا عنا اليوم ونحن نستمتع بـالنعمة ، بيد أن تقـدير الظـروف التى كتبت فيها هـذه الكتب الرائعة لا بد أن يكون واضحا أمامنـا ، وذلك أننا إذا رجعنا بذاكرتنا إلى العصر الذى كتبت فيه هذه الكتب فإننـا نجد بيئة غير تلك التى نعيشـها اليوم وغير تلك البيئة الممتازة التى عاشـها جيل آبائنا .وهذا هو جورجى زيدان على سبيل المثال فى مقدمة تاريخ التمدين الإسلامى يروى أنه لم يكن فى وسعه أن ينشر تاريخ التمدين الإسلامى هكذا مرة واحدة ولا أن يفاجىء الناس بـه وإنما هو يعترف بأنه مهد لـذلك كثيرا ... وأقرأ معى قـوله :« وأخـذنـا نهىء أذهان القـراء على اختـلاف طبقاتهم وتفـاوت معـارفهم ومـداركهم لمطـالعة هـذا التـاريخ بما ننشره من الـروايـات التاريخية الإسلامية تبـاعاً فى الهلال لأن مطالعة التاريخ الصرف تثقل

على جمهور القـراء ، وخصـوصـا فى بـلادنا والعلم لا يزال عنـدنا فى دور الطفولة .. فلا بد لنـا من الاحتيال فى نشر العلم بيننا بما يُرغب الناس فى القراءة .. والروايات أفضل وسيلة لهذه الغاية ». بل إن طه حسـين نفسه يكتب مطولاً فى هذا المعنى بعد نجاح الخطوات المبـاركة ، فى مقدمة كتابه على هامش السـيرة إلى أن يقول :« فإذا استطاع هذا الكتاب أن يحبب إلى الشباب قراءة السـيرة خاصـة وكتب الأدب العربى القديم عامة والتماس المتاع الفنى فى صـحفها الخصبة فأنا سعيد حقا موفق لأحب الأشياء إلىّ وآثرها عندى .

بقى أن نتحدث باعتزاز عن هذا الأدب وهذا التشويق الذى تحفل به كتـابات الأدبـاء وهو حـديث يدخل فى نطـاق الحديث عن العمل الأدبى بأكثر مما يدخل فى نطـاق الحديث عن العمل التاريخى ولكن حسبنا فى هـذا المقـام أن نأخذ مثـلا واحـدا فنتأمل هـذا التقسيم الأدبى الجميل والمشوق الذى وضـعه أحمد أمين لعصـور الإسـلام فجرا وضـحى وظهرا ولنقارنه مثـلا بما يسمى فى تاريخ الفراعنـة بالدولة القـديمة والحديثة والمتأخرة والحديث فى القديم والقديم فى الحديث ، أو ما يسمى بعصـور الأسرات .. إلخ) ألم تفقد هذه الحقب الحظ الذى أوتيته الحقب التى أرخ لها أحمد أمين ؟

الفصل الثالث

سمات منهج أدباء التنوير

(١) النظر إلى التاريخ الإسلامى كجزء من الدراسات الإسلامية :

فلا بد لكتابة التاريخ الإسلامى أن تنطلق من هذا المفهوم ولا بد لإجادتها من الإلمام بدراسات القرآن ولهجاته وأحكام نزوله وبلاغته .. إلخ والإلمام بعلوم الحديث والفقه والأصول والتوحيد والتشريع ، وقد أفاض فى الحديث عن أهمية هذه المقومات كثير من المؤرخين لعل أبرزهم الدكتور أحمد شلبى فى مقدمة كثير من كتبه .

وربما كان هو هذا المعنى الذى عناه الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى هو الآخر بقوله : « ولذلك كانت مهمة مؤرخ الحضارة الإسلامية مهمة شاقة عسيرة ، تحتاج إلى إحاطة شاملة بكثير من العلوم من تفسير وحديث وتاريخ وفقه وأدب واجتماع واقتصاد وفلسفة وعلم كلام وتصوف .. وعلى الجملة كافة العلوم المكونة للحضارة » .

ومما لا شك فيه أن دراسة طه حسين وأحمد أمين الأزهرية ثم شبه الأزهرية وكذلك البيئة التى عملا فيها قد ساعدتهما على التفوق (لاالتمكن فحسب) من كل هذه العلوم والدراسات الإسلامية ، فجاءت كتابتهما لهذا التاريخ كأبرز نموذج فى هذا المجال حين يتاح للتاريخ الإسلامى مؤرخ تسعفه على الدوام معارفه الإسلامية وثقافته الدينية وتعينانه على الفهم الجيد والتحليل العميق .

(٢) إجادة استخدام المصادر التاريخية : لا شك أن القرآن الكريم والحديث الشريف كانا على رأس المصادر التى أفاد منها الأدباء الذين كتبوا التاريخ الإسلامى ، وقد ساعدهم على الإفادة القصوى من هذين المصدرين إلمامهم التام بها الذى قد قد يصل إلى مرحلة شبه الحفظ أو الحفظ عن ظهر قلب حتى أصبح من اليسير تماماً عليهم أن يعرفوا فى كل آن مواقع خطاهم ، وبخاصة فى التأريخ للفترة الأولى من الدولة الإسلامية فى عهد النبى .

وعلى الرغم من قلة مصادر كتابة التاريخ التقليدية كالحفريات والدرسات القائمة على علوم النميات .. إلخ فقد استطاع هؤلاء أن ينتبهوا إلى كل ما أثمرته مثل هذه الدراسات من نتائج .. وإن كان دور هذه المصادر فى الحقيقة أقل أثراً فى صياغة أو كتابة التاريخ الإسلامى .

(٣) الدقة فيما يتعلق بالوقائع التى تتصل بالنبى عليه الصلاة والسلام : من سمات البحث العلمى أن يفيد الإنسان من الخطأ الذى يقع فيه ، وربما يندرج تحت هذا الباب ما حدث لطه حسين فى أعقاب إصدار كتابه عن الشعر الجاهلى ، بيد أنه من الطريف أن نذكر

أن طه حسين ظل واعيا للدرس الذى تلقاه من هذه المعركة وظل كذلك (وبنفس القدر) يعانى من السمعة التى ترسبت مع كثرة تردادها .. على حين أن طه حسين نفسه كان قد أصبح أشد الأدباء جميعا (على ما نظن) تحرزاً فى رواية ما يتعلق بالنبى صلى الله عليه وسلم إذ يقول فى مقدمة على هامش السيرة : « فإذا اتصل الخبر بشخص النبى فإنى أرده إلى مصدره ليستطيع من شاء أن يرجع إليه : لا احتمل فى ذلك تبعة خاصة لأنى لا أذهب فيه مذهبا خاصا إلا أن يكون تبسطا فى الشرح والتفسير واستنباط العبرة والوصول إلى قلوب الناس » .

(٤) **حرية الفكر :** كان أحمد أمين حر الفكر إلى أبعد الحدود لا يقول إلا ما يعتقد ولم يكن أبدا من الحريصين على الأخلاق المشجعة على مصانعة السلطان أو تملق الجماهير أو مشايعة الأهواء .

ولعلنا نستشهد هنا بقول الدكتور الأهوانى عنه : « تبدو هذه الحرية فى الجهر باعتقاداته الدينية على الرغم من مصادمتها لمشاعر الجمهور ومخالفتها للمألوف من التقاليد طويلة الأمد . فقد جاهر بالانتصار لمظهر المعتزلة أهل العقل فى الإسلام ونادى بالرجوع إليه مع أن المسلمين عارضوا ذلك المذهب منذ القرن الرابع ، وحكموا على أصحابه بالكفر وحرقوا كتبهم ومنعوا تدريسها فى مدارسهم ، وجاهر برأيه فى الشيعة ومعتقداتهم حتى كاد تصيبه من جراء ذلك محنة عظيمة حين كان ببغداد بعد أن أصدر فجر الإسلام » .

وهكـذا ترى أن أحمد أمين لـم يبـال بالمتعصبين لأهل السنــة كما لم يبال بـالمتعصبين لأهل الشيعة ، وكـان طه حسين هـو الآخر نمـوذجا لحرية الفكر يبد أنه ـ واللـه أعلم ـ كان يعانى فى أعماق نفسه دائما من آثار أزمة كتابه فى الشعر الجاهلى ، وربما كان أحمد أمين كان على عكس ما قد يعتقـد الناس أكثر من طـه حسين قدرة على المجاهرة بـاعتقاداته الدينية بل وقد فعل ذلك فى مواضـع ومنـاسبات عديدة ليس هذا موضع تفصيل القول فيها .

(٥) **وضوح الفكـرة** : تميـز أحمد أمين وطـه حسين فى كتـابتهما بوضــوح الفكرة ، وقد كـانت هذه السمــة من أبرز السمات التى حببت انتـاجيهما إلى القــراء كما ساعـدت بقـدر كبير على استحــواذ أعمالهما للأحترام والذيوع والخلــود ، وسأطلع القارئ على فقرة واحدة لأحمد أمين تضم أحكاما كثيرة متتابعة ولكنهـا كلها تمثل نتائج علمية ممتازة يصعب على الدارس أن يصل إليهــا إلا بعد جهد جهيد وتــوفيق مقدور ، ولكن أحمد أمين وهو مَنْ وصفناه بأنه تميز بوضوح الفكرة يسردها كما لو كان يعدد بعض البديهيـات التى لا جدال حولها ، يقول أحمد أمين فى حديثه عن الشيعة : « والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإســلام لعداوة أو حقد . ومن كان يـريد إدخال تعـاليم آبائه من يهودية ونصرانيــة وزردشية وهندية ، ومــن كان يريد استقــلال بلاده والخروج على مملكته ، كل هــؤلاء كانوا يتخـذون حب أهل البيت ستاراً

يضعون وراءه كل مـا شاءت أهواءهـم .. فاليهوديـة ظهرت فى التشيع بالقول بالرجعة ، وقال الشيعة : إن النار محرمة على الشيعى إلا قليلا ، كما قال اليهود « لن تمسنا النار إلا أيـاما معدودات» والنصرانية ظهرت فى التشيع فى قول بعضهم : إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه .. وقالـوا إن اللاهـوت اتحد بالناسـوت فى الإمام ، وإن النبـوة والرسـالة لاتنقطع أبداً فمن اتحد به اللاهوت فهو نبى ، وتحت التشيع ظهر القول بتنـاسخ الأرواح وتجسيم الله والحلـول ، ونحو ذلك من الأقـوال التى كانـت معروفة عنـد البراهمة والفلاسفـة والمجوس من قبـل الإسلام ، وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الإموية وما فى نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم والسعى لاستقلالـهم .. إلخ) .

وغنى عن البيان ما تميز بـه أسلوب أحمد أمين من وضوح وبعد عن المحسنات وعن التقعـر معا ، حتى كـاد بعض زملائه من الأدبـاء الكبار يخرجونه من زمرتهم بسبب هذا البعد عن التقليدية . وليس من شك أنه كان بإمكان أحمد أمين أن يقدم لقارئه أسلوب مسجوعا أو ممتعا ولكنه آثـر أن يعطى الاهتمام الأول للفكـرة والمعنى .. وكـان أميل إلى التعبير البسيط المعبر ، أما نصـاعة أفكار طـه حسين وجلاؤها فهو الأمـر الذى لايحتاج إلى مزيد من الحديث عنه .

(٦) **الانتصار للعقل :** ينبغى لنا أن نفهم أن التأريخ للحياة العقلية هو أصعب الجوانب فى تأريخ الحضارات لأنـه على الأقل يحتاج مثلاً إلى

عقل واع مدقق واسع الأفق قــادر على التحليل والاستيعاب والربط بين الظواهر المتباينة .ولا شك أن أحمد أمين كان أبرز الذين انتصروا للعقل فى كتابتهم مع أنــه كان يحلل العقل وينقده ، ولكنه حللــه بالعقل ونقده بالعقل ، وربما كان هذا هو ما أضفى على كتاباته مظهر الفلسفة مع أنها لم تبــدأ من منطلق فلسفى وإن انتهت إلى أن أصبحت هكــذا .. أما طــه حسـين فكان لا يفتأ ينادى أنه لــن ينتصر فى درسه للروايات إلا للعقل ، وكان يفعل . و ربما ســاعد أحمد أمين على هذا التفــوق العقلى فى دراسة التاريخ أنه عمل فى فترة مبكرة من حياته قاضيا شرعيا حيث أتيحت له الفرصة لتدريب عقله ووجدانه على استنباط الحق مما يراه من أوراق أو أقوال متعارضة متراكمة أمامــه ، وظاهر كل منها الحق ، وقد أفاد أحمد أمين من ممــارســة القضــاء القــدرة على تمحيص الــرواية التــى أمامــه ومبلغها من الصحة ، ومدى الباطل الذى يستتر وراء الدعوى المزيفة .. وهكذا . انظــر إلى دقته وحكمته الشديــدة وهو يروى قصـــة قول كعب الأحبار لعمر: اعهد لمن بعــدك فإنك مفارق بعد ثلاث ،وإنى أرى ذلك فى التوراة ، فيسـأله عمر: وهل تجد عمر بن الخطاب فى التوراة ، فيقول لا.. ولكنى أرى وصفــه .. إلخ) يــروى أحمد أمين هــذه القصـــة فى معــرض حديثه عن شخصية كعب الأحبار وعلمه .. إلخ) ولكن لا يفوته أن ينبهنا إلى ما لم ينتبه إليه أحد من قبله فيقول ما معناه : « وهذه القصة لا تدلنا على مقدار علم كعــب الأحبار بالتــوراة بقدر مــا تدلنــا على تورط كعب الأحبار فى مؤامرة قتل عمر بن الخطاب » !!!

وكـان طه حسين هـو الآخـر صـاحب قدرة على الحكـم النافـذ إلى الحقائق بفضل اشتغاله المستمر والمتصل بـالمسائل الإدارية والتنفيذية وانغماسه الدائم فى السياسة .

(٧) **تقدير حدود العقل** : على الرغم من التقديـر الشديد للعقل فى الوصول إلى ما وصل إليه أدباء التنوير من بحث ممتاز إلا أن طه حسين كـان يـؤمن تمامـا بأن للعقل حـدودا ، وأن العقل ليس كل شىء وهـو يصوغ فى هـامش السيرة هذا المعنـى تصريحا واضحا إلى أبعـد حدود الوضـوح حين يقول : « وأحب أن يعلم النـاس أن العقل ليس كل شىء وأن للناس ملكات أخرى ليست أقل حاجة إلى الغذاء والرضا من العقل». قد يقال إن طه حسين يقصد دغدغة حواس الناس ولكن الحق أنه يقصد ألا ننكر على حـواس الناس بعض رغبتهـا فى الغذاء تمامـاً كما أننا نتيح الغذاء للعقل .

ونرى هذا الخلق من تقدير حدود العقل كأوضح ما يكون فى كتابات أحمد أمين حين يتحدث عن الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة فى آخر جزء من كتابه ظهر الإسلام ص ٧٦ فيقول : « والناظر إلى الخلاف (يقصد الخلاف على الـذات والصفات) يـرى أن كلا مـن المعتزلـة والأشعريـة جاوزوا حـرصهم ودخلوا فى سفسطـات لا طائل تحتهـا ، وليس العقل البشرى بمستطيع شيئا من ذلك . إلا أننا لا نستطيع أن نقـول بالنسبة لأنفسنـا إن كـان علمنـا غير ذاتنـا وقـدرتنـا غير ذاتنـا أو هى ، فكيف

نستيطع أن نقول ذلك فى الله ، إن عقولنا ضعيفة لا تصلح إلا لخدمتنا فى الوصول إلى أغراضنا فى الحياة الواقعية ومحاولة الوقوف على هذه الموضوعات ليست فى متناول العقل البشرى ، إن العقل البشرى لايستطيع أن يدرك حقيقة أى شىء إدراكا تاما ، وكل ما يستطيع أن يدركه هو بعض صفاته .. » .

وبالإضافة إلى هذا فقد كان الرجلان وبخاصة أحمد أمين ملتزمين إلى أبعد الحدود بالتواضع الشديد فيما كتباه لا يزعمان أولية ولا أسبقية، ولا عبقرية ، ورغم كل هذا الجهد الذى بذله أحمد أمين فإنه كان يقول فى تواضع حقيقى: « على أنى لم أقل إلا الكلمة الأولى فى الموضوع»، وفى موضع آخر يقول : إن هى إلا نظرة الطائر .. وهكذا .. ومع أن مثل هذه العبارات يمكن النظر إليها على أنها بمثابة تحرزات من أحمد أمين إلا أن روح التواضع الحقيقى فيها ملموسة تماما .

وهذا هو طه حسين يقول فى مقدمة كتابه على هامش السيرة : « ولست أريد أن أخدع القراء عن نفسى أو عن هذا الكتاب ، فإنى لم أفكر فيه تفكيرا ولا قدرته تقديرا ، ولا تعمدت تأليفه وتصنيفه كما يتعمد المؤلفون ، إنما دفعت إلى ذلك دفعا ، وأكرهت عليه إكراها ورأيتنى أقرأ السيرة فتمتلىء بها نفسى ويفيض بها قلبى وينطق بها لسانى وإذا أنا أملى هذه الفصول » .

(٨) **عدم الخلط فى الأحكام** :كان أحمد أمين يستقرىء الموضوع مع قارئه قبل أن يصــدر أحكامــه ، ولم يكن من أصحاب الأحكــام الجاهزة أوالأفكار المسبقــة التى يفرضـها على قــارئه مستعينا بتحويــر الحقائق والمعطيات لتعطى إثبــاتا لما يريد . خذ مثــلا حديث أحمد أمين عن علماء الحضارة الإســلامية تجده حديثا سلساً يعنى بالعلم نفسه قبل أن يعنى بأى استنتاجــات أخرى كتلك التى يرددهــا ابن خلدون (وتناقلهــا عنه الناقلــون) حين قال إن حملة العلوم فى الإســلام أكثرهم من العجم ، ثم يضطر ابن خلدون نفسه إلى أن يلجأ إلى معيارين مختلفين لنفى العروبة عن هؤلاء العلماء فتارة يستخدم معيار الجنس ، وتارة يستخدم معيار البيئة .. فينفى العروبة عمن عاشوا فى بلادهم وكانوا من أصول أخرى .. كما ينفيها عن العــرب الذين عــاشوا خارج جــزيرتهم !! لا لشىء إلا لإثبات مقولة ظاهرهــا الحق أو الذكاء بينما هى الباطل بعينه .. أحب أن أذكــر للقــارىء فى مقــابل هــذا أن أحمد أمين لم يلجأ أبــداً إلى مثل هــذا الأسلوب لأنــه كان يستقــرىء الحوادث والواقع مــع قارئه .. فــلا يكاد يصدر الحكم الذى يريده إلا وقد أنطقه قارئه قبل أن ينطقه قلمه !! كان أحمد أمين يكيل بمعيار واحد ، وكذلك كان طه حسين .

(٩) **سعة الأفق** : تمثلت فى أحمد أمين سعــة الأفق على أوضح مــا يكون .. وعلى الرغم من أنــه عاش ثقافة عالم الــدين ودارس الأزهر فإنه لم يكن يعتبر نفسه حامى حمى الدين فيفصله مثلا عن المداخل الأخرى فى كتابته ، وإنما هــو ينهج المنهج العلمى فى التقسيم فيتحدث عن الدين

نفســه ضمن الثقافــات المختلفة فى البــاب الثــانى .. ثم هو يتحــدث عن المذاهب الدينيــة فى الباب الرابع . ولا تسول له نفســه أبدا أن يخرج عن التقسيم الاجتماعى العلمى الذى لم يكن كثيرون يومها يلمون به . وكان طه حسين بحكم المدرســة الفرنسية التــى انتمى إليها منذ بعثتــه إليها قادرا على أن يستشرف ــ هو الآخر ــ على الدوام الآفــاق الجديدة التى تجعل فهمــه لكل الجزئيات صــادرا عن الفهم الجيد للكليـات الكبرى فى العلوم الإنسانية جميعها .

ولعل تعمق دراسة شخصيات أدباء التنوير وحياتهم تعيننا على فهم طبيعة المكونات الممتازة التى كونت ثقافتهم على هذا النحو .. وعلى سبيل المثال فقــد كانت لأحمد أمين خلفيــاته الفلسفيــة (التى ربما يغفل عنها البعض) فقد ترجم كتاب مبادىء الفلسفة فى أول عهده بالتأليف ، وكان هذا الكتــاب من أوائل ما طبعته لجنــة التأليف والترجمة والنشر .. كذلك فقد يذكر القراء أن أحمد أمين ألف بالاشتراك مع د. زكى نجيب محمود « قصة الفلسفة اليـونانية » كما ألف كتابا مدرسيــا فى « الأخلاق » كان يدرس لطلبة المدارس الثانوية .

كذلك كــان طه حسين نموذجــا لأستاذ الأدب فى العصــور الوسطى الذى يلم بكل الآداب التى يقــدر لها أن تعترض بحثه العلمى فى الأدب فى كل آن . ولا شك أن هذه الخلفيــات كلها وغيرها قد ســاعدت على اتساع الأفق عند الرجلين فيما كتبا وألفا .

(١٠) **إيثار الموضوعية على الزمن والأبجدية :** لم يحفل أحمد أمين بـالمنهج التاريخى الـذى يقدم سنـة ١٠ على سنة ٣٠ لأنـه لم يكن من أنصار أن يكتب تـاريخ الحياة العقلية بطريقـة الحوليات ، ولم يكن من أنصـار الحديث عن الإعلام متفـرقين مبعثـرين لا تجمعهم إلا بدايـات حروف اسماؤهم لأنـه لم يكن يرى أن يكتب تاريخ الحيـاة العقلية على طريقة الطبقات ، إنما كان يعنى بأن يبرز الوحدة الموضوعية .

وهو يقـول فى مقدمـة الجزء الثالث من ظهـر الإسلام (وهو الجزء الخاص بالاندلس) « وكـان أمامى أن أؤرخها تأريخاً أفقياً أو تأريخاً رأسيـاً ، بمعنى أن أؤرخ الحياة العقليـة فى عصر ثم اتبع ذلك بـالعصر الـذى بعده وهكـذا .. أو أن أؤرخ كل علم من مبـدأ ظهـوره فى الأندلس وكيف تـدرج .. حتى أخر أمره فيها .. ففضلت الطـريق الثانى لأنه أنسب » . وكـان طه حسـين يفعل مثل هـذا على مدى فصـول الفتنة الكبرى فيتناول الرواية ويتناول ما سبق أحداثها وما أعقبه ، ثم يعود ، إلى رواية أخرى ، لا يؤثر شيئا على الوحدة الموضوعية !!

(١١) **عبقرية التقسيم :**كان أحمد أمين وكذلك كـان طه حسـين من أكثر أهل الأدب قدرة على تحليل الطيف وتبيين مراحله اللونية المختلفة . ويمكن لنـا أن نتأمل أسـاس فصل فجـر الإسلام من مـرحلـة ضحى الإسـلام فنقـرر أن أحمد أمين لم يجد صعـوبـة فى ذلك .. بيـد أننـا لانستطيع أبـدا أن ننكر عبقريتـه الممتازة فى فصل ضحى الإسـلام عن

ظهر الإسـلام ، وهو الأمر الـذى لخصه فى كلمات قليلـة تعكس دارسة واعية وتفكيرا ممتازا حيث يقول إنـه « عصر يمتاز بلون علمى خاص ، كما أن لـه لـوناً فى السيـاسـة والأدب خـاصاً .. امتـاز بغلبـة العنصر الفارسى، وبحرية الفكر إلى حد ما ، وبدولة المعتزلة وسلطانهم وبتلون الأدب من شعر ونثر تلويناً احتُذى على كر الدهور واختلاف العصور ».

(١٢) **القدرة على الفلسفـة** :وصف د. أحمد فؤاد الأهـوانى جهود أحمد أمين فى تأليف فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهرالإسلام بأنها عملية تحليل للعقل البشرى . والأهوانى يـرى أن جهد أحمد أمين فى هذا العمل هو الفلسفـة على التحقيق «حاول أن يلتمس العلـل البعيدة التى غذت العقلية الإسلامية ونمتهـا وصقلتها وشكلتها فى شتى الصور على مر العصـور . واقتضى منه هذا التحليل أن يـرجع إلى العوامل الـدينية المستمدة من الإسـلام وإلى العناصر الدخيلة .. وفعل أكثـر من ذلك أنه نظر إلى العقل الإسـلامى فشرّحه فى حرية شـديدة ، وانتقل من التحليل إلى الأفكـار التركيبية التى انتهت إليهـا الحياة العقليـة حتى تحققت فى الحياة ، واستـوت فى مظاهـر السلـوك ، وبـرزت فى الأقوال المسطـورة والكتب المدونـة والعلوم المنتشرة .. ومن هـذا الـوجه كـانت لأحمد أمين فلسفة أبرزها فى أعلى كتبه شأنـا وهو فجر الإسلام وضحاه وظهره » . ولمن يريد الإطلاع على جوهر فلسفة أحمد أمين كما صورها الأهوانى أن يرجع إلى المقدمة التى كتبها الدكتور الأهوانى فى مقدمة الجزء الثالث من

ظهر الإسلام . صفحات ٨، ٩ على سبيل المثال . بيد أننا نود أن نثبت للقارىء ما ذكره الدكتور الأهوانى (ص٩) من إجابته على سؤال أين تعلم أحمد أمين الفلسفة حيث يجب على هذا بقوله « الحق أنه علم نفسه بنفسه إلى جانب نزوع فطرته إلى محبة الحق وإيثار الحكمة وليست الفلسفة شيئاً آخر إلا معرفة الحقيقة لذاتها وطلب الحكمة». وفى موضع آخر (ص١٠) يقول الأهوانى : « فالفكر فى نظر أحمد أمين أشبه بالنهر الجارى المتدفق، الحياة الاجتماعية راوفده ، والحركة العلمية مجراه ، والدين مصبه وغايته ، ونجد هذه الفلسفة واضحة أعظم الوضوح فى فجر الإسلام ، ومفصلة فى الضحى ، وأشد تفصيلا فى ظهر الإسلام » .

(١٣) الإدراك العميق لحقيقة التواصل التاريخى : قد يدرك كثيرون من الباحثين والمثقفين والكتاب والمؤرخين أن الحاضر ليس بمنقطع عن الماضى أو المستقبل ولكننا لا نستطيع أن نتعمق هذا الإدراك إلى فهم الأثر الحقيقى للماضى فى الحاضر أو فى المستقبل .. ذلك أن هذا الأثر لا يخضع تماما لعلاقة السببية ، ولا لعلاقة رد الفعل المباشر فحسب ولكنه فى الحقيقة ينشأ من تراكمات ، ومن بعض بقايا أورواسب خفية .. ونحن قد ندرك هذا أيضا ولكننا لا نستطيع تحديد هذه العلاقات على وجه اليقين .

ولكن أحمد أمين كان واعيا تماما لمثل هذه الآثار العميقة التى لا بد له من أن يتناولها فى موضع يبدو وكأنه غير موضعها ، وهو لهذا يتحدث

بروح العالم الجليل عن هذا الذى يفعل ، وكأنه يعتذر عن هذا الذى يفعل فيقول فى مقدمة ضحى الإسلام : « على أنى أحيانا ما يدعونى إيضاح الفكرة إلى أن أربطها بما كان منها فى العصر الذى قبله .. كما قد يدعونى تسلسلها إلى أن اتجاوزه إلى العصر الذى بعده !! » .

(١٤) انعكاس المقومات الممتازة فى شخصية أدباء التنوير على جهودهم: يمكن لنا أن نحدد كثيراً من الصفات الشخصية التى كانت وراء نجاح أحمد أمين (على سبيل المثال) فى هذا الجهد :

(أ) فقد كان مثال الجد والاجتهاد الواضح فى كل أعماله وفى كل حياته التى بذل جهده فيها من أجل الأفضل دائما، لم تنتب هذه الحياة على الإطلاق فترة ضياع أو فترة خمود أو كسل .

(ب) كان نموذجا للأمانة المطلقة ، فيما ينقل ويروى ، فلم يعهد عنه أنه مارس تحويراً للنصوص ولا تشويهاً ولا تعسفا فى تفسيرها.

(ج) التزم أحمد أمين الصدق المطلق مع نفسه ، فلم تسول له نفسه ، ولا سول لها الاعتقاد فيما لم يطمئن إليه قلبه من أجل محاباة الجمهور أو القراء أو الرأى العام .

(د) تجرد أحمد أمين من العواطف الخاصة ، فلم يظهر عنده أى ميل لتضخيم صورة أو تقليل صورة أخرى من صور الحياة العقلية.

(هـ) تجرد أحمد أمـين بحكم انتمائه الفكرى من الأهـواء المذهبيـة التى عصفت بنفوس قرائه .

(و) تميز أحمد أمين بالإضـافة إلى هذا كله بعقليـة ممتازة فقد جمع الاستقصــاء الحسن إلى القـراءة الجيـدة إلى الفهم العميق إلى الاستنباط الصائب .

(١٥) البعد عن التعصب للرأى السـائد أو للرأى الذاتى : يمكن للقارىء أن يكتشف بسهولة أن أحمد أمين لم يكـن يقطع بالرأى إلا بعد البحث والتنقيب ، وجمع الأدلة والبراهين ، وكـان كثيرا ما يعطى الإيحاء بأنه على استعداد للنزول عن رأيه إذا اتضـح له بطلانه أو نبهه إلى ذلك ناقد . وقـد كان طه حسـين هو الآخر ديكـارتيا من الطراز الأول لا يثبت الرأى إلا لينقده بل إنه قد ينقضه ، وربما كان طه حسين يفعل هذا بأداء الأديب السـاحر على حين كـان أحمد أمين يفعله بطبيعـة العالم العـاقل المتعقل ولكنهما على أى حـال كانـا من أبـرز الذين تميـزوا بهذا الخلق الكريم .

(١٦) تقبل النقد : كان أحمد أمين بالـذات من أوسـع الناس صدرا لتقبل النقـد الموجـه إليه ، ويقـال إنـه لم يسبق لكـاتب أن خصص من صفحات مجلتـه كل هذا القدر الـذى أتاحه أحمد أمين لنقـاده فى مجلة الثقافة (وهى المجلة التى كان يتولى مسـؤليتها كاملة حتى تكاد لا تذكر

إلا ومعها اسمه) مهما كان لاذعا ، وقد صدَّر أحمد أمين الطبعة التالية من فجر الإسلام بشكر الذين نقدوه وحللوه . وفى مقدمة الجزء الثالث من ظهر الإسلام كتب فى وضوح وصراحة راجيا القراء ... « لا كما يقول السابقون أن يغضوا الطرف عما فيه من عيوب بل أن يقيدوها ويشرحوها ويبينوها لى ، حتى اتدارك ما لا يخلو من مؤلف من خطأ .. فالحياة العلمية إنما تحيا بالنقد وتتقدم بتمحيص الأراء وإظهار العيوب وحسن التوجيه » .

وربما كان طه حسين أقل قدرة على تقبل النقد من أحمد أمين ، ولكنه ربما عوض هذا بكثرة نقده لما يكتب أثناء كتابته له .

(١٧) الوعى بالأدب المقارن : لا شك أن الأدب المقارن يمثل وسيلة من أفضل الوسائل لدراسة التفاعلات الحضارية والتأثيرات المتبادلة بين الحضارات ، وهو الأمر الذى يمثل أهمية خاصة فى التأريخ للحياة العقلية ، ومن حسن الحظ أن أحمد أمين قد تمتع بفهم عميق ووعى ممتاز بالأدب المقارن ، ويتضح لنا مثل الفهم عندما نقرأ لأحمد أمين فصله عن الأدب الصوفى فى الجزء الرابع من ظهر الاسلام وتحليله لهذا الأدب حيث يقول : « وقد كان الأدب الصوفى نتاجا لجنسين مختلفين : الجنس السامى ويمثله الأدب الصوفى العربى ، والجنس الآرى ويمثله الأدب الصوفى الفارسى . وعنده أن التصوف « السامى »

كلـه وله وحنين وإخـلاص وحيرة مصدرهـا يتعلق بالإعجـاب والحب والعاطفة ، والسامى يحب فيحس عذاب الحب أو نعيمه إلى درجة بعيدة، وقـد يبالغ فى هـذا أو ذلك ، ثم يخرج عـذاب نفسه شعـراً دافقاً مملـوءاً بالسخط والضجر والألم والأنين والاطمئنان إلى هذا الألم والحنين .

أشكـو وأشكـر فعلـه فأعجب لشـاك منـه شـاكـر

فهذه عاطفة صـادقة امتلأت بالحب وأورثت الألم ثم إن النفس عن كل هذا راضية بل هى تسمو إلى أرفع منـازل التضحية وتجود بالحياة فى سبيل الغرام وحرصا عليه .

إن الغرام هـو الحياة فمت بـه صبا فحظـك أن تموت وتعذرا

أما الأدب فى التصوف الآرى فكله غرام وحب ولكنه حب ، تمتزج فيه العاطفة بالفلسفة يبدأ التصوف عنده بالفهم والإدراك ثم التفلسف .. أما السامى فيبدأ بالشعور ولا يلزم أن يكون هناك شىء أخر » .

ولا شك أن طه حسين كان هو الأخر من أبرز القادرين على عقد مثل هذه المقارنات وإدراك هذه المفارقـات والتوصل من خلال ذلك إلى ما قد يفيد دارسة التاريخ .

(١٨) الإفادة من الخبرة فى كتـابة التراجم :تمثل الخبرة فى كتابة التراجم عنصراً من أهم عناصر القدرة على التفوق فى كتابة التاريخ .

وربما يَصْعُب على كثيرين تصور الفصل بين كتابـة التاريخ وكتابة التراجم وبخاصة مع الكتاب الممتازين الذين تمكنوا من الأدبين .

وفى الحقيقة أن كلا من أحمد أمين وطه حسين نموذج لكتاب التراجم الممتاز الذى يتفوق إذا ما تناول كتابة التاريخ . ولا شك أن كاتب التراجم يملك كثيرا من المقومات اللازمة لتفوق المؤرخ . فهو يستطيع البحث عن الأدوار المختلفة لنفس الشخص بحيث يرى تأثيره الحقيقى فى التاريخ من دون أن ينساق إلى إخضاع الاتجاهات الشخصية للتيارات التقليدية أو المفترضة أو الصدفة المحضة !! أو بعوامل غير محددة .. وهو كذلك قادر على أن يجيد الحديث عن دور أبرز العناصر فى صياغة الحوادث التاريخية ، وهو الإنسان نفسه ، الإنسان المؤثر فى الأحداث وتعاقبها . وربما يلمس القارىء هذا المعنى إذا ما تأمل الفارق بين كتابة التاريخ على الطريقة التى بين أيدينا فى كتابات أدباء التنوير وبين الكتابات الأخرى التى لا تمثل إلا صورة من صور التطبيق الأمين للرؤى المذهبية التى تتقمص للأدوار (الجبرية) أشخاصا لعبوا دورا ما على ساحة الحياة .

(١٩) **دقة الاستشهاد وبراعته :** كان أحمد أمين حريصا فى « فجر الإسلام » و « ضحى الإسلام » وكذلك فى الجزء الأول من ظهر الإسلام على أن يورد النص بحروفه ثم يتبعه بما يريد من تعليقات أواستنتاجات . ولكنه بدءا من الجزء الثانى من ظهر الإسلام آثر أن يترك هذا المنهج وقال :« أما فى هذا الجزء فقد هضمنا ماقرأنا ثم حكينا ما خلص لنا من غير ذكر نص إلا من القليل النادر واكتفينا بذكر المراجع عقب كل باب »

ويبدو حياء أحمد أمين الشديد وهـو يروى ذلك حين يردف بقوله : «وعذرنا فى ذلـك ضـعف الصحة وعدم قدرتنـا على إثبات النصوص كما قـرأناهـا أو سمعنـاها ..على أن هـذه الطـريقة إنما اتبعت لكى يصـدق القارىء المؤلف فى تأليفه ، فإذا كان قراؤنا لم يصدقونا مما سبق فعلينا العفاء وإذا صدقونا اكتفوا منـا بمسلكنا فى هذا الجزء » . أما طه حسين فكان يورد الرواية حين تكون الروايـة غير متواترة ، ويشير إلى تواترها فحسب إذا كانت كذلك ، ويعتذر عن عدم ذكر المصادر إذا كان قد انتهج فيما كتب أسلوبـه الذى عرف به والـذى اتضح فيه شدة تمثل الـرواية وتشربحها .

(٢٠) **كثـرة المراجع غير المبـاشرة :** و بالاضـافة إلى ما ذكـرنا فى الفقرة السابقة نـود أن نشير إلى أن القارىء لأحمد أمين وطه حسين قد يجد كثيراً من الحقائق التـاريخية مبثـوثة فيما يكتبـان ، ولكنه لا يجد إكثاراً من الأديبين العظيمين فى ذكـر مصادر هذه المعلومـات ، ولوتخيل القارىء الـدراس أن واحدا من جيل الأكاديميين اليوم يكتب مـا يكتبان لكان عليـه أن يطالع إشارات إلى المراجـع تبلغ فى حجمها ضعف المتن .. ومع هذا فإن الأسلوب الذى اتبعه الأديبان لا يزعزع أبدا فى ثقة القارىء فى رجـوع طـه حسين وأحمد أمين إلى المراجع . أو أن يـؤكـد ثقـة هـذا القارىء فى المؤلفين المحدثين !!

و ليس من شك أن طه حسين وأحمد أمين كانا يستطيعان أن ينهجا ما ينهجه مـؤلفو اليوم ، و لكنهما انتبها إلى ما هـو أهم من هذا .. انتبها إلى أن الأهم هـو ذاك الذى يعبر عنـه المؤرخون بقـولهم : « تفكير المؤلف

وفهمه للأحداث » . وهكذا يجد القارئ نفسه وقد أحس بأن مؤلفه قد بحث أكثر مما جمع ، على حين يراوده الشعور المؤكد بأن المؤلفين المحدثين يجمعون بأكثر مما يبحثون ، أو بعبارة أدق ينجحون فى إظهار قدرة على الجمع دون أن يعنوا لا بالبحث ولا بإظهار القدرة عليه .

(٢١) **المرونة والتقدم فى تنفيذ المنهج** : لم يلزم أحمد أمين نفسه بمنهج واحد فى كتبه ، ومع أن منهجه العام كان تقريبا التزام تقسيم الحديث على أبواب ثلاثة هى الناحية الاجتماعية ثم العلمية ثم الدينية إلا أنه فى فجر الإسلام مثلا أخذ نفسه بطبيعة العصر الذى يؤرخ له فامتزجت الأبواب الثلاثة .

كذلك فقد اختص أحمد أمين الأندلس بجزء خاص من ظهر الإسلام وعلل ذلك بقوله : « وذلك لما تعرف من امتياز حضارة الأندلس عن باقى الحضارات الإسلامية ، ولسبب آخر هو امتداد هذه الحضارة طوال الفترة منذ فتح العرب الأندلس حتى خروجهم منه » .

ويتحدث أحمد أمين فى كتابه حياتى (ص ٢٢٥) عن منهجه فى فجر الإسلام فيقول : «فرسمت منهجه ورتبت موضوعاته ، وكنت إذا ما وصلت إلى موضوع أجمع مظانه فى الكتب ، وأقرأ فيها ما كتب عن الموضوع ، وأمعن النظر ، ثم اكتبه مستدلا بالنصوص التى عثرت عليها حتى أفرغ منه ، وانتقل إلى الموضوع الذى بعده وهكذا .. وكانت أكثر الأوقات فائدة الاجازة الطويلة إذ كنت أجمع الكتب التى يُظن أنها تبحث فى الموضوع ، و أحملها على دفعتين أو ثلاثة إلى مائدة وضعتها خلف بيتى فى مصر الجديدة ، وأبدأ العمل فى الساعة الثامنة صباحا وأجلس

على كرسى أمام المكتب أفليها واستخرج نصوصها واستخلص من كل ذلك ما أكتبه إلى ما بعد الساعة الواحدة جلسة واحدة أنسى فيها نفسى وأنسى كل شىء حولى .. وهكذا أفعل فى أيام العمل التى لا يكون علىّ فيها دروس فى الجامعة حتى ينتهى الجزء » .

ويتحدث أحمد أمين عن منهجه فى تأليف ضحى الإسلام فيقول : «وترقيت فى منهج التأليف فى ضحى الإسلام فقد رتبت موضوعاته التى تستغرق ثلاثة أجزاء وأحضرت ملفات كتبت على كل ملف اسم المضوع، ملف عليه اسم المعتزلة وآخر الخوارج ، وثالث أثر الجوارى فى الأدب ، ورابع الثقافة الهندية .. إلخ) ثم حصرتُ أمهات الكتب التى تبحث فى هذه الموضوعات كالأغانى والحيوان و الجاحظ وكتب ابن قتيبة ورسائل الجاحظ وكتب ابن المقفع ونحوها أقرؤها كلها فإذا وصلت إلى نص يتعلق بالمعتزلة كتبت فى ورقة صغيرة مغزى النص ورقم الصفحة فى الكتاب ووضعتها فى ملف الموضوع وكذا حتى أفرغ من هذه الكتب كلها.. وهكذا دور التحضير .. فإذا جاء دور الكتابة استخرجت ملف الموضوع وأعدت النظر فى الجذاذات ورتبتها حسب الترتيب المنطقى وفكرت فيها وبدأت أكتب .. وكلما عنت فكرة جديدة رجعت إليها فى مظانها .. حتى ينتهى الموضوع فانتقل إلى ما بعده وهكذا.. » .

(٢٢) تناسب حجم المادة الكتوبة مع الأهمية التاريخية : كثيرا ما يعترى المؤرخ شعور خفىٌّ بأنه لا بد من الموازنة بين المادة التاريخية المكتوبة وبين الزمن (بمعناه الرياضى) الذى وقعت الأحداث فيه ، و بين المادة التاريخية المكتوبة بحيث يعطى لكل ما وقع فى السنة من أحداث

حظه من الكتابة بقدر زمنه .. وبحيث يخرج كتابه فى النهاية أقرب إلى (الأجندة) التى تعطى لكل أيام السنة صفحات متساوية ، وفى الواقع أننا نجد هذا الخلق بارزا جدا فى كتب الحوليات . وكثيرا أيضا ما يدفع التعصب (وأحيانا التسرع ، وأحيانا أخرى عدم الدرس الجيد) إلى أن يخرج كتاب التاريخ على نحو أصدق مايوصف به أنه كاريكاتيرى يعكس بوضوح منهج صاحبه فى معالجة موضوعه .. خذ على سبيل المثال كتاب الدكتور فيليب حتى عن تاريخ الإسلام حين خصص مائة وخمسين صفحة للحديث عن العرب فيما قبل الإسلام ثم تحدث عن سيرة الرسول كلها فى عشر صفحات .و هكذا فإن بعض المؤلفين قد يجدون أنفسهم كثيرا فى حيرة من أمرهم ، و بخاصة إزاء الفصول الأخيرة التى يتعجلون كتابتها حتى ينتهوا من كتابة كتبهم بعد أن استغرقهم الوقت فى الفصول الأولى ، ولكننا لانجد هذا المأخذ فى جهد أحمد أمين ، قارن بين حجم كتاب فجر الإسلام وبين حجم كتاب ضحى الإسلام ثم بينها وبين حجم ظهر الإسلام وأقرأ لأحمد أمين اعترافه حين يقول « وكنت أقدر أن يكون فى حجم كذا فإذا بى أجدنى مضطرا أن أجعله على نحو كذا » . وهذا هو عين المنهج العلمى الذى لا يتعسف صاحبه فى إلزام نفسه ما لا يلزم ، وإنما هو يعالج موضوعه بالقدر الذى لا بد لموضوعه أن يعالج فيه ..

(٢٣) **مثالية الحجم** : لا شك أن كتب أحمد أمين عن فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام هى أكثر الكتب استحقاقا لوصف الامام النسفى المفسر العظيم لتفسيره بأنه ليس بالطويل الممل ولا

بالقصير المخل .. فقد استطاع أحمد أمين من خلال توسعه فى كثير فى بعض المواضع أن ينجو تماما من مغبة تعميم الأحكام ، وإطلاق القول على عواهنه على نحو ما نرى فى كتابات أخرى مناظرة .. وقد أتاح له الحديث تحت عنوان محدد أن يستوفى الموضوع حقه . كذلك ابتعد أحمد أمين عن أن يكون قافزا بكتابته من موضوع إلى موضوع ، فنجا من ذلك الخلق الذى لا يمكن التعبير عنه بأصدق من الوصف الذى وصف به الدكتور عبد الوهاب عزام كتاب بارتولد (١٨٦٩ – ١٩٢٧) عن تاريخ الحضارة الإسلامية بأنه « يظهر الاقتضاب فى بعض فصوله حتى يشعر القارىء أنه انتقل من موضوع لم يستوفه إلى آخر لم يمهد له».أما كتابا طه حسين عن الفتنة الكبرى فإنهما لا يزالان إلى اليوم أولى المصادر متوسطة الحجم للحديث عن هذه الحقبة .ومن حسن الحظ أن هذا لايمنع من الاقرار بحقيقة أن مجموعة مؤلفات أدباء التنوير فى هذا المجال تبقى كذلك قابلة للاختصار حتى تكون متاحة لمستويات مخلتفة من الشباب ، وتبقى بنفس القدر قابلة للشروح والتعليقات والحواشى الكفيلة ببيان عظمة ما فيها من تركيز شديد .

الفصل الرابع

المكانة التاريخية لأعمال أدباء التنوير

(١) إنشاء التاريخ لا تلوينه : كان على أحمد أمين وعلى طه حسين فى هذه المجموعة من الكتب أن ينشئا التاريخ الإسلامى من أساسه ، فلم يكن دورهما فيما قدما من كتابات رصينة ترجيح رواية على أخرى أوتوسيع متن سابق ، أو تلخيص كتابات متناثرة أو تجميع كتب تتناول عصراً واحدا . وإنما كانت المهمة (بأدق عبارة) هى إنشاء التاريخ من أوله..

وهذا هو ذات المعنى الذى حاول طه حسين نفسه أن يعبر عنه حين قال فى وصف جهد أحمد أمين فى مقدمة ضحى الإسلام " إنه خاض حربا ضد الغموض والإبهام " !! أى أن أحمد أمين لم يكن مُرجح رأى على رأى ولا محُكما بوثيقة ، وإنما كان صاحب جهد واضح فى إزالة الغموض واللبس .

(٢) **التاريخ للتاريخ والتاريخ للقراءة** : يمكن القول بأن أعمال أحمد أمين كانت كلها من باب التاريخ للتاريخ ، وكان طه حسين هو الآخر يحب أن يكون له باع كبير فى هذا المجال ، وقد قدم بالفعل صورة ممتازة ، يبد أنه كان يرى أن فى وسعه كذلك أن يخصص جهدا آخر من الكتابة التاريخية التى هى أكثر قربا من جمهور الناس من التأريخ العلمى ..ولذا فإنه رأى فى كتابه « على هامش السيرة » نموذجا أقرب إلى النوع الثانى منه إلى النوع الأول ولهذا تجده يتحدث عن هذا المعنى فى مقدمة كتابه على هامش السيرة فيقول : « هذه صحف لم تكتب للعلماء ولا للمؤرخين لأنى لم أرد بها إلى العلم ، ولم أقصد بها إلى التاريخ وإنما هى صورة عرضت لى أثناء قراءاتى للسيرة فأثبتها مسرعا ، ثم لم أربنشرها بأساً، ولعلى رأيت فى نشرها شيئاً من الخير فهى ترد على الناس أطرافاً من الأدب القديم قد أفلتت منهم »... إلى أن يقول بعد ٣ صفحات « إلى هذا النحو من إحياء الأدب القديم ، ومن إحياء ذكر العرب الأولين قصدت حين أمليت فصول هذا الكتاب » .

(٣) **عبقرية التأريخ للفكر** : حين بدأ أدباء التنوير مشروعهم كانت الفكرة كما ذكرنا أن يختص أحمد أمين بالحياة العقلية وأن يختص عبد الحميد العبادى بالحياة السياسية وأن يختص طه حسين بالحياة الأدبية ، ولكن أحمد أمين وهو الوحيد الذى أدى دوره كاملا ، قام بالإضافة إلى دوره بجزء كبير من الدور المفروض للعبادى وبجزء كبير من المفروض لطه حسين .

كان على أحمد أمين أن يتناول التاريخ من الناحية العقلية وبالناحية العقلية أيضا ، وهكذا كان عليه أن يتناول أصعب جوانب الحياة تأريخا. وهو يتحدث عن هذا المعنى بوضوح وجلاء فى أول مقدمة ضحى الإسلام فيقول : « ولعل أصعب ما يواجه الباحث فى تاريخ أمة هو تاريخ عقلها فى نشوئه وارتقائه ، وتاريخ دينها وما دخله من آراء ومذاهب . ذلك أن مدار البحث فى المسائل المادية ومايشبهها واضح محدود ، وما يطرأ عليها من تغير ظاهر جلى . أما الفكرة فإذا حاولت أن تعرف كيف نبتت ، وكيف نمت ، وما العوامل فى إيجادها ، وما العناصر التى غذتها ، وما الطوارىء التى طرأت عليها فعدلتها أو صقلتها ، أعياك ذلك ، وبلغ منك فى استخراجه الجهد . لأن الفكرة أول أمرها لا مظهر لها نستدل به عليها، وقد تتكون من عناصر قد لا تخطر على بال ، ويعمل فى تغييرها وتعديلها عوامل فى منتهى الغموض . والمذاهب الدينية قد يكون الباعث عليها غير ما ظهر من تعاليمها ، قد يكون الباعث سياسيا، وهى فى مظهرها الخارجى مجردة من كل سياسة ، وقد يكون الباعث لها فى إفساد الدين فتتشكل بشكل المتحمس للدين . وقد يكون المذهب صالحاً كل الصلاح ولكن يحكيه أعدائه فيشوهونه ، ويلغون فيه فيفسدونه ، فيقف الباحث حائرًا ضالاً ، يتطلب بصيصاً من نور يهديه، أو أثراً فى الطريق سلكه مَنْ قبله فيحتذيه . وفوق هذا فالأفكار متنوعة والآراء متعددة وقضايا كل عصر تخالف ما قبلها ، ويراها الباحث فيظنها أول وهلة جديدة لم ترتبط بما قبلها ولم تتصل به أية صلة فما عسى أن يكون بينهما من قرابة أونسب وما قد يصل بينهما من

سبب.ففى سبيل الله ما لا يلاقى مؤرخ الفكرة من عناء لا يتناسب وما يحصله من انتاج » .

ولا أظننى بعد ذلك فى حاجة إلى التعقيب على هـذه الأفكار الواضحة المعبرة التى لخصت الموقـف الـذى استطـاع أحمد أمين أن يتفـوق فى معالجته له .

(٤) دور الشعر فى التأريخ الاسلامى فى عهـد أدباء التنوير: لابد لى أن أذكر أن جهـد الشعراء فى التأريخ الإسلامى قد سبق جهـود أدباء التنوير وإن لم يكن على نفس الخط تمامـاً ، و ربما كان الفارق بين هذا التناول و ذاك هـو الفارق الـواضح بين تناول الشعـر و تناول الأدب ، وإذا كان لنا أن نذكر جهود أحمد أمين و طه حسين كرائدين عظيمين فى هذا المجال الـذى نتحدث عنه فمن باب أولى أن نشير إلى جهـد شاعرين عظيمين تركا لنا أثرين عظيمين من الأعمال الشعرية المطولة التى تتناول تاريخ الإسلام على مدى القرون السـابقة ، و هذان هما الشاعران أحمد شوقى وأحمد محرم .

لابـد أن نـذكر مـا قـام بـه أمير الشعـراء أحمد شوقى فى ديـوانـه أومطولته « دول العرب و عظماء الإسـلام » و التى تعتبر نموذجاً رائعاً لـلأعمال الشعريـة التى تناولت التـاريخ الإسـلامى ، تعريفـاً بأمجاد الإسلام و عظمتـه و انتصاراتـه ، و من البدهى أن الشعـر حين يسجل التاريخ يكون أكثر ميلاً إلى الفخـر منه إلى التحليل ، و يكون كذلك أكثر ميلاً إلى ربط الحوادث فى إطـار واحد من الحديث عن النجـاح المتواصل والمجد المتصل ، و من الطـريف أن شوقى صـاغ هذه القصيدة المطـولة

وهو مَنفيٌّ فى الأندلس ، و حين نتأمل صياغتها نجدها تأخذ شكلاً يكاد يكون وسطاً جامعاً لطريقتى تأليف الكتب أو صياغة الخطب، فهى تبدأ بالحمد لله (فى عدة أبيات) ثم بالصلاة و السلام على رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام و هكذا يمضى أمير الشعراء يسعرض التاريخ الإسلامى عائداً فى بعض الأحيان إلى جذوره القديمة حين يصف البيت الحرام ، ويذكر تاريخه ويشير إلى أنباء اسماعيل و فى أحيان أخرى يرتفع صوت المعلم والناصح فى قصيدة شوقى ، كذلك فإنه يلح على الدوام على تنبيه الأبصار إلى الاعتبار من حوادث التاريخ الإسلامى .

وليس من شك فى أن منظومة شوقى عليه رحمة الله كانت من أشهر النماذج التى اعتمدت على التاريخ فى جلاء صورة الإسلام و المسلمين عبر ماضٍ طويل ، وقد كان من المفترض أن نكون من الذكاء الدينى الوطنى والقومى فنقررها ككتاب ذى موضوع واحد على طلابنا فى مطلع المرحلة الثانوية أو نهاية المرحلة الإعدادية على سبيل المثال ، ونقرر على الطلاب حفظها بحيث يكون التاريخ الإسلامى مرتبطاً و مترابطاً فى أذهانهم إلى الدرجة التى يسهل عليهم استحضاره فى المواقف المختلفة من حياتهم فيما بعد ، و أحب أن أنبه هنا إلى ما ذكرت فى المقدمة من اقتناعى بفائدة تقرير مجموعة كتب أحمد أمين وطه حسين فى مطالع المرحلة الجامعية حين يكون الناشىء منا قد أصبح مهيئاً تماماً للبحث والتحليل و التفكير المركب.

و لا يقل بحالٍ من الأحوال (إلا فى الشهرة) عن جهد شوقى فى قصيدته المطولة أو ديوانه ، جهد الشاعر العظيم أحمد محرم فى عمله الرائع العظيم الإلياذة الإسلامية أو ديوان مجد الإسلام ، و من الطريف

أن نذكر أن أحمد محرم قد ضمن هذه القصيـدة الطويلة جداً بعضاً من قصائده التـى نشرها قبل ذلك بعنـاوين أخرى ، و ليس هـذا هو مجال الدراسة المقارنة بين القصيدتين العظميين ، إنما أقصد كما يرى القارىء إلى التعريف السريع .

و بالإضـافة إلى جهـد أمير الشعراء أحمد شـوقى فى قصيدة « دول العرب و عظماء الإسلام » فقـد نال الخلود و الذيـوع المتصل عمل آخر من أعماله هـو همزتيه التى عارض بها همزية البـوصيرى ، كما عارض بنهج البردة بردة البـوصيرى ، و همزية شوقـى هى تلك القصيدة التى يسمعها المواطن المسلم و العـربى كل يوم تقريبـاً حين تغنى السيدة أم كلثوم بعض أبياتها *.

---

* غنت أم كلثوم من « نهج البردة » ثـلاثين بيتاً من مائة وتسعين ، من هذه الأبيـات ستة فى الغزل وثلاثة فى الحكمة وخمسة فى الضراعة والتعبد واثنا عشر فى مدح الرسول وأربعة فى الدعاء .

ومن قصيدة « إلى عرفات الله » غنت أم كلثوم خمسة وعشرين بيتاً من ستين ، من هذه الأبيات التى غنتها ستة أبيـات حداء لركب الحجيج ، وثمانية فى الدعاء واستغفـار الله ، وبيت واحد فى الحكمة وعشرة أبيات فى زيارة الرسول .

أما « الهمـزية » فقد غنت أم كلثوم منهـا أربعة وثلاثين بيتـاً من مائة وواحد وثلاثين وقـد جاءت تسعة أبيات منها فى بشرى مولد النبى ، وثلاثة عشر بيتـاً فى الإشادة بدعوته للدين الإسلامى وسبعة فى مدح الرسول وخمسة فى التضرع والدعاوى .

أما أول قصيدة دينية غنتها أم كلثوم من شعر شـوقى فهى « سلوا قلبى » ، وقد تواترت الروايات أن أم كلثوم حين وصلت إلى قول شوقى :

وما نيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً

نهض المستمعون الذين حضروا الحفل يطالبون الانجليز بالجلاء عن مصر !!

و قد كـان لشاعر النيل حافظ إبـراهيم هو الآخر جهد بـارز فى هذا المجال بقصيدته « العُمرية » ، التى تقترب من ثلاثمائة بيت ، وقد تناول فيها شـاعر النيل سـيرة عمر بن الخطـاب من نواح عـديدة ، وانعكست فيها إلى حد كبير تطلعاته إلى مجد الإسلام و اعتزازه بماضيه .

كذلك لابـد لنا أن نذكر قصيـدتين أخريين لشاعـرين كبيرين جداً ، يبدو (بوضــوح) أنهما نُظمتا لتنافسا قصيدة حـافظ إبراهيم عن عمر ابن الخطاب و أعنى بهما قصيدة « العلويـة » للشاعر الكبير محمد عبد المطلب عن الخليفة الـرابع على بن أبى طالب و التى جاء فى مطلعهـا بعد المقدمة :

فــهب لى ذات أجنحــــة لعلى	ألقى على الســـحب الإمامــا
إمام بنى الهدى و هو ابن تسع	وأول مســـلم صلى وصـامـا

وقصيدة « البكرية » للشاعر العظيم عبد الحليم المصرى التى يتناول فيها سيرة الخليفة الأول أبى بكر بن الصديق و التى يقول فيها:

نهضت بأمر الناس و الدين لم يزل رضـــيعاً بأطراف الجزيرة حابيا
فلولاك عُلْت الأمــر بعـــد محمــد لهـدوا من الإسـلام ما كان بانيا

ولو كان الأمر بيدى لألفت من هذه القصائد الثلاثة كتاباً آخر يكون مقرراً على صف دراسى تـالٍ للصف الذى درس مطولـة شوقى « دول العرب و عظماء الإسلام » .

لا ينبغى لنا أيضـاً أن نغفل الإشارة إلى مجمـوعة الأعمال الشعـرية العظيمـة التى تناولت التـاريخ الإسلامى والسيرة النبـوية من زوايـا

عديـدة وبصياغـات متنوعة وممتـازة فبالإضـافة إلى العملين الكبيرين الرائعين لأحمد شوقى وأحمد محرم وإلى مُطولات حافظ إبراهيم وعبد الحليم المصرى ومحمـد عبـد المطلب تأتى قصيـدة عـزيز أبـاظـة « من إشراقـات السيرة الزكيـة » ممثلـة لجهده و مكـانتـه فى الشعر العـربى المعاصر.

كذلك فلابـد أن نذكر بالتقدير جهود شـاعرين عمودين عظيمين لم ينلا القدر الكافى من التقدير الواجب فى ظل عصر الشعر الحر الذى كان لابـد (لـلأسف) لأنصـاره من القـائمين على وسـائل الإعـلام من أن يتجاهلوا الشعـر العمودى ، هذان الشاعران هما عـامر بحيرى و كامل أمين ، و من الغـريب أن عـامـر بحيرى صـاحب « أمير الأنبيـاء » كـان مرشحـاً لنوال جائزة الـدولة التقديـرية فى نفس اليوم الـذى نالها اسم المغفور له صلاح عبد الصبور و كان قريباً جداً من الفوز بها ، ومع هذا فإنـه من قليلى الحظ جداً فى إعـلام الثقافـة المعاصرة على الـرغم من أن المغفور له رئيس السادات نفسـه قد أطلق عليه لقب شيخ الشعراء حين لقيه فى جمع مـن الأدباء ذات مرة ، أمـا كامل أمين فـإن عمليه العظيمين «عين جالوت » « والملحمة المحمدية » يقفان بمنتهى القوة و الشموخ بين الأعمال الأدبية التى تناولت التاريخ الإسلامى .

وبالإضافة إلى هذه الجهـود تأتى مجموعة من أهم الأعمال الشعرية التى تناولت السيرة النبـوية من خـلال معارضة « بـردة البوصيرى » ،

وهى مجموعة من الأعمال العظيمة لاتـزال تفتقر إلى الدراسة و التحليل والمقارنة فضلاً عن إزاحة تراب النسيـان عنها فى ظل انشغالنا فترة بعد فترة بما لا يستحق الانشغـال و لا الاهتمام . فهناك قصيـدة البارودى «كشف الغمة فى مدح سيد الأمة » و هناك قصيدة شوقى « نهج البردة » و قصيدة محمد عبد المطلب « ظل البردة » وهى أعمال سابقة على جهود أدباء التنـوير ، وهناك كـذلك قصيدة الشاعـر العظيم على أحمد باكثير «كشف ما جـرى فى مدح سيد الورى » وقصيـدة محمد خليل الخطيب «بشرى العاشقين ببلوغ سيد المرسلين » وقصيدة هاشم الرفاعى « نهج البردة » و أخيراً قصيدة الـدكتور حسن على إبـراهيم « محمـد رسول الله» .

على أن الشعـراء فيما بعد الـرواد الكبـار شوقى و حـافظ و محرم أخذوا يتنـاولون بنفس الـروح التى تناول بها الأدبـاء التالـون لأدباء التنـوير كثيراً من القضـايا الفـرعيـة فى التاريخ الإسـلامى بشىء من الدراسة والتمحيص ، و ليس هذا مجال الحديث بإفاضـة عما أنجزوه فى هذه النـاحية ، و لكنى أكتفى بنموذج واحـد هو قصيدة الشـاعر أحمد زكى أبو شادى رائد مدرسـة أبوللو فى ديوانه الشفق الباكى (١٩٢٦) فى قصيدة « النبى محمد و روح الله » حين يقول :

هدمت أوهام القديم محرراً	أيقال دينك ملؤه الأوهام
وشرعت للعقل الحكيم سياسة	ضمنت بقاء جلالها الأيام
بُنيت على النفع الأتم وكل ما	للعلم فالعلم الصحيح قوام
عقل كعقلك لن يبيح جهالة	أبداً ، فكم سطعت له أحكام

وفى خطوة أكثر تقدمية وعصرية كان جهد الدكتور عبده بدوى فى انشاء قصيد سمفونى بعنوان «محمد» نشره فى ليبيا عام ١٩٦٩ .

(٥) الدراسات التاريخية بعد جهد أدباء التنوير : من دون أن نبخس أقدار علمائنا أو جهودهم فى مجالات الفكر المتصلة بالتأريخ للحضارة الإسلامية والدول الإسلامية يمكن لنا أن نلخص المسار الذى سارت فيه الأمور فى هذه المجالات فى الحقب الزمنية التى ترادفت بعد جهود أدباء التنوير :

(أ) لم يؤلف الجيل الأول من تلامذة طه حسين وأحمد أمين وهم من يفترض أنه كانت لهم فرص أوسع من فرص طه حسين وأحمد أمين شيئا ذا بال فى هذا المجال . فالدكتور عبد الرحمن بدوى مثلاً و هو من أنبغ هؤلاء التلاميذ وهو أستاذ قسم الفلسفة لم يضع لنا مرجعا قويا فى موضوع الشيعة أوالخوارج أو الفرق السياسية الدينية فى صدر الإسلام بالرغم من رسائله العديدة فى موضوعات عديدة !!

(ب) وهذا هو الجيل الثانى من أساتذة قسم التاريخ نفسه – نجد الأستاذين حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف يضعان (مثلا) كتاب العالم الإسلامى فى العصر العباسي .. يختص أولهما (هكذا) بكتابة تاريخ العصر العباسي الأول ويكتفى الثانى بكتابة العصر الثانى ، ويقصران هذا الكتاب على الحياة السياسية ، ويعدان فى المقدمة أن يصدرا بعد ذلك جزءا يختص بالناحية الحضارية !!

(جـ) أما الدكتور شوقى ضيف فقد كان صاحب فضل أوفى إذ أخذ خيط أستاذه طه حسين و بدأ يضع الكتب المطولة التى تتناول تاريخ الأدب العربى فى العصور المختلفة .. ويشاركه فى هذا المجال نخبة من أساتذة الأدب العربى يضعون تاريخ عصور معينة كالمغفور له الدكتور أحمد الحوفى ، و الدكتور أحمد هيكل ، والدكتور الطاهر مكى ، والدكتور بدوى طبانة والدكتور يوسف خليف .

(د) مهد أحمد أمين إلى دراسات مقارنة الأديان بكتابته الرائدة فى هذا المجال على مدار الصفحات الطوال من كتبه حتى وإن لم يختصها بفصول منفصلة ، وأحمد أمين هو بلا شك أول من كتب فى علم الأديان المقارن وصلته بالتاريخ ، وقد أثمر هذا الاتجاه فيما بعد كتابات الدكتور أحمد شلبى الأستاذ فى دار العلوم الذى أرخّ هو الآخر للحضارة الإسلامية والأديان .

(هـ) وضع أحمد أمين الأساس القوى للدراسات التى تتناول الصلة بين الحضارات الشرقية بعضها وبعض وقد كان من المفروض (بحكم الانتماء الجغراف والسياسى والظروف التنموية المشابهة) أن تنمو فى جامعاتنا مثل هذه الدراسات، ولكن يبدو أن شيئا ما قد شاب التقدم العلمى فى هذا المجال ، فقد أُلغى معهد الدراسات الشرقية الذى كان قد أسس فى آداب القاهرة وتولى رياسته الدكتور عبد الوهاب عزام .. بيد أننا مع هذا نجد المغفور له الدكتور يحى الخشاب فى نهاية الستينيات يضع كتابه عن التقاء الحضارتين الفارسية والعربية ، وهو مجموعة من المحاضرات ألقاها فى معهد الدراسات والبحوث العربية التابع لجامعة الدول العربية .

(و) لا ينبغى للمرء أن يغبط حق المغفور له الأستاذ محمد الخضرى فى كتابيه الممتازين « تاريخ التشريع الإسلامى » و« نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين » . ولا يزعم الباحث أنه يستطيع أن يوفى هذا الرجل حقه . ولكنه الذى لا شك فيه أن كتابته كانت على أقل تقدير بمثابة مصباح جانبى ممتاز أفاد منه أحمد أمين وطه حسين ، حتى وإن ظن البعض أو اعتقدوا أنها تلخيصات ممتازة لكتب قديمة .

الفصل الخامس

ببليوجرافيا

تهدف هذه الببليوجرافيا إلى تسهيل البحث فى المصادر التى أشار إليها الكتاب (بصفة خاصة أو بصفة عامة) ولا تتضمن بالطبع المراجع غير المباشرة التى استند إليها المؤلف فى كثير من فقراته التى كتبها فى هذا البحث ولكنها تُعنى فى الأساس بأن تتيح للقارىء توصيفا ببليوجرافيا موجزا لبعض المصادر التى لا بد له من أن يستعيد الإطلاع عليها فيما يثيره فى هذا البحث من أفكار، وبخاصة الأفكار التى تنتقد بعض ما فى البحث نفسه، وقد آثرنا ترتيبها أبجديا دون التفريق بين العرب والأجانب وباعتماد اسم المؤلف الأول لا اسم العائلة، وأشرنا إلى الطبعات التى نقلنا عنها لا لسبب إلا أنها كانت هى المتاحة أمام المؤلف قبل غيرها:

١ ـ د. أحمد إبراهيم الشريف :

الدولة الإسلامية الكبرى ، دار القلم ، ١٩٦٥ .

(٢ ـ ٦) ـ أحمد أمين :

فجر الإسلام (١ج) ، مكتبة النهضة المصرية ، طبعات متعددة

ضحى الإسلام (٣ج) ، مكتبة النهضة المصرية

ظهر الإسلام (٤ج)، مكتبة النهضة المصرية

يوم الإسلام (١ج) ، مكتبة النهضة المصرية

حياتى ، مكتبة النهضة المصرية

٧ ـ د. أحمد شلبى :

التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، ط ٢ دار النهضة المصرية

٨ ـ د. أحمد فؤاد الأهوانى :

مقدمة لكتاب ظهر الإسلام ، الجزء الثانى ، تأليف أحمد أمين ، دار النهضة المصرية .

٩ ـ بارتولد :

تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر

١٠ ـ جرجى زيدان :

تاريخ التمدن الإسلامى ، ط ٣ ، مطبعة الهلال ، ١٩٢٢.

١١ ـ حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف :

العالم الإسلامى فى العصر العباسى : دار الفكر العربى،١٩٦٦

١٢ ـ خودا بختش :

الحضارة الإسلامية ، ترجمة على حسن الخربوطلى ، دار القلم

(١٣ ـ ١٧) ـ طه حسين :

مرآة الإسلام

على هامش السيرة (٣ أجزاء)

الوعد الحق

الفتنة الكبرى – عثمان

على وبنوه

مجموعة إسلاميات طه حسين ، دار الآداب ، بيروت ١٩٦٧

(١٨– ٢٠) ـ عبد الحميد العبادى :

– الدولة الإسلامية : تاريخها وحضارتها (بالاشتراك) ١٩٥٤

– صورة من التاريخ الإسلامى (جزءان) ١٩٤٧ ، ١٩٥٣

– المجمل فى تاريخ الأندلس (١٩٥٨)

(٢١– ٢٢) محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى :

– أيام العرب فى الإسلام

– أيام العرب فى الجاهلية دار الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى ، ط٢ (١٩٦١).

٢٣– محمد عزة دروزه :

« العرب والعروبة من القرن الثالث حتى القرن الرابع عشر الهجرى » دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، سورية ، ١٩٥٩ .

٢٤– د. محمد محمد الجوادى

مجلة الثقافة : تعريف وفهرسة وتوثيق ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٣.

٢٥ـ محمد مهدى علام :

المجمعيون، مجمع اللغة العربية ، ط ٢ ، ١٩٨٦

٢٦ ـ د. يحيى الخشاب :

التقاء الحضارتين العربية والفارسية ١٩٦٩ ، معهد البحوث والدراسات العربية

تم بحمد الله

كتب للمؤلف

١ ـ**الدكتور محمد كامل حسين عالماً ومفكراً وأديباً** ،
(الكتاب الفائز بجائزة مجمع اللغـة العربية الأولى فى الأدب العربى عام ١٩٧٨) .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

٢ ـ **مشرّفة بين الذرة والذروة**،
[نال عنه المؤلف جائزة الدولة التشجيعية فى أدب التراجم عام ١٩٨٢] .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٩٨٠

٣ ـ **كلمات القرآن التى لا نستعملها** (دراسة تطبيقية لنظريـة العينات اللفظية) ،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ،١٩٨٤ .

٤ ـ **يرحمهم الله** (كلمات فى تأبين بعض الشخصيات)
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

٥ ـ **من بين سطور حياتنا الأدبية** (دراسات أدبية)
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ،١٩٨٤ .

٦ ـ **الدكتور أحمد زكى ، حياته ، وفكره ، وأدبه** .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،١٩٨٤ .

٧ ـ **مايسترو العبور المشير أحمد اسماعيل**،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ،١٩٨٤ .

٨ ـ **سماء العسكرية المصرية الشهيد عبد المنعم رياض**،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، ١٩٨٤ .

٩ ـ **الدكتور على باشا إبراهيم** ، سلسلة أعلام العرب ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،١٩٨٥ .

١٠ ـ **الحلول الجزئية هى الأجدى أحيانا .. مستقبلنا فى مصر** ،
دار الأطباء ووكالة الأهرام للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

١١ ـ **التشكيلات الوزارية فى عهد الثورة**،
الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ،١٩٨٦ .

١٢ ـ **الدكتور سليمان عزمى** ، سلسلة أعلام العرب ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ .

١٣ـ **الدكتور نجيب محفوظ** ، سلسلة أعلام العرب ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ .

١٤ـ **دليل الخبرات الطبية القومية** مع مقدمة وافية عن تاريخ وحاضر مؤسسات التعليم الطبى المصرية ،
مركز الإعلام والنشر الطبى ، الجمعية المصرية للأطباء الشبان ، ١٩٨٧ .

١٥ ـ **الصحة والطب والعلاج فى مصر** ،
جامعة الزقازيق ، ١٩٨٧ .

١٦ـ **توفيق الحكيم من العدالة إلى التعادلية** ، المكتبة الثقافية ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨ .

١٧ ـ **رحلات شاب مسلم** ،
دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٩

١٨ـ**الببليوجرافيا القومية للطب المصرى** ، الجزء الأول والثانى ١٩٨٩ ،
الجزء الثالث والرابع ١٩٩٠ ، الأجزاء من الخامس وحتى الثامن ١٩٩١ .
الأكاديمية الطبية العسكرية ، وزارة الدفاع ، القاهرة .

١٩ـ**منهج أدباء التنوير فى كتابة تاريخ الأمة الإسلامية** ،
رابطة الجامعات الإسلامية ، الرباط ، ١٩٩٠ .
الطبعة الثانية : **أدباء التنوير والتاريخ الإسلامى** ، دار الشروق، ١٩٩٤.

٢٠ ـ **مجلة الثقافة [١٩٣٩ ـ ١٩٥٢] : تعريف وفهرسة وتوثيق** ،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ .

٢١ ـ **شمس الأصيل فى أمريكا** (من أدب الرحلات) ،
دار الشروق ، ١٩٩٤ .

٢٢ ـ **أوراق القلب** (رسائل وجدانية) ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

٢٣ ـ **مذكرات وزراء الثورة [دراسة تشريحية تاريخية نقدية لعشر مذكرات سياسية]**
دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

٢٤ ـ **المحافظون** (قوائم كاملة ، وفهارس تفصيلية وأبجدية ، ودراسة لتسلسل وتطور اختيار المحافظين منذ بدء الإدارة المحلية فى ١٩٦٠ وحتى الآن) ،
دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

المحتويات

رقم الإيداع ١١٣٥٠ / ٩٤

I.S.B.N 977 - 09 - 0257- 8

مطابع الشروق

: ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤

: ص ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣



د . محمد محمد الجوادى

إذا جاز أن يكون هناك أكثر من مستوى لكتابة تاريخ أمة (ومن باب أولى الأمة الإسلامية) فلابد أن تتميز كتابة بالقدرة على أن تكون مقروءة على أوسع نطاق ، وأن تحظى بأقلام قديرة مقتدرة كتلك الكتابات التى تتناولها هذه الدراسة هذا البحث.

ليس من هدف هذه الدراسة أن تلخص آراء أبديت بأقلام أصحابها حين أتيح لهم أن ينشروا على الناس ماكتبوه فى تاريخ الأمة الإسلامية.. ولا أن تعلى من قدر كتابة تاريخية على ماسواها من كتابات، ولا أن تدل على المنهج الأمثل لكتابة تاريخ الأمة الإسلامية وإن كانت بالضرورة سوف تلقى ببعض الضوء على بعض معالم فى الطريق الكفيل بالوصول إلى بعض ما نبتغيه لتاريخ أمتنا حين يكتب .

تحاول هذه الدراسة أن تتأمل الجهد الذى شهده الربع الثانى من القرن العشرين فى مصر حين تصدت مجموعة من ثلاثة من أساتذة كلية الآداب فى الجامعة المصرية لكتابة تاريخ
الإسلامية ،وتستعرض الدراسة هذه التجربة الرائدة التى
جهداً ممتازاً أصبح بمثابة المصدر المفضل لأهل التاريخ
الأدب العربى، و كثير من الدراسات الإنسانية فى
العربية ، وهو بعد ذلك ، و قبله المرجع العلمى الممتع ...
الأدبى الممتاز .

محمد الجوادى